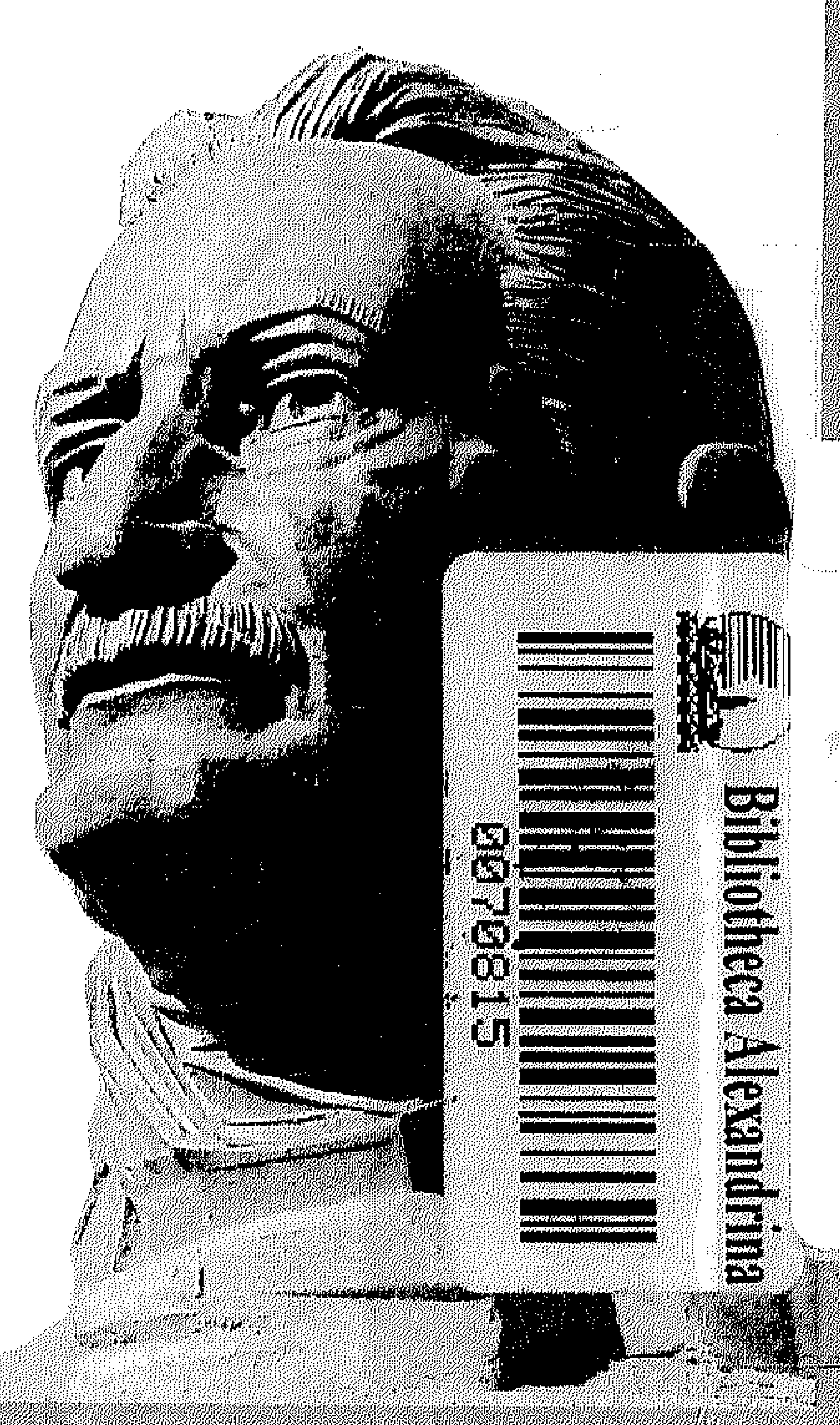
مختارات من شعر العقاد



اختيار وتقديم

فاروق شوشة

مختارات من شعر العقاد

العقاد

تصميم الغلاف والإخراج الفنى
محـمد بغـدادى

رقم الإيـــداع : ٩٧/٢٢٠٣
الترقيم الدولى : 977-235-757-7

طبع بالمركز المصرى العربى ٥٨١٥٦٠٧

مختارات من شعر

العقاد

اختيار وتقديم

فاروق شوشة

الطبعة الأولى

....

١٩٩٦

شعر العقاد

حوار الصخر والنهر

بقلم : فاروق شوشة

حوار الصخر والنهر

بقلم : فاروق شوشة

بيننا ـ نحن قراء الشعر المعاصرين ـ وشعر العقاد مسافة واسعة. زاد من اتساع هذه المسافة العقادُ نفسه، بحرصه علي أن يكون وجهُ الكاتب فيه هو أهم وجوهه وأخطر تجلياته الإبداعية. كانت فكرة الكاتب، وتأثيره اليومي الفاعل في صياغة الأحداث وصنع التاريخ هي الشغل الشاغل للعقاد. وللبرهنة علي عظم هذه الفكرة وخطورتها دخل العقاد السجن، وواجه الأنظمة والحكومات، وتحمل صنوفا من العداء والقطيعة، لكنه ظل علي ولائه لمعني الكاتب الذي تتمثل فيه دوما معادلة الإرادة الانسانية والحرية. وطغي وجه العقاد الكاتب من خلال كتبه في السير والتراجم والعبقريات والتاريخ والفلسفة والعلوم والنقد الأدبي علي وجه الشاعر فيه، بالرغم من أن حجم إنجازه الشعري ـ المتمثل في أحد عشر ديوانا ـ يفوق حجم الإنجاز الشعري لأي شاعر عربي كبير من شعراء العصر الحديث، من غير أن ندخل في مقارنة تستهدف النوعية وحجم التأثير.

وزاد من اتساع هذه المسافة أن شعر العقاد وصل إلينا ـ نحن قراءه المعاصرين ـ في خضم موجات شعرية متتابعة، شديدة التلاحق والتأثير والقدرة علي تغيير الذائقة الشعرية بدءا بالكلاسيكية الجديدة التي أسس لها البارودي ونفخ فيها شوقي من روح شاعريته الفذة ووسع من آفاقها وقدراتها علي التحديث، بحيث أصبح نموذج شوقي هو النموذج الذي يستقطب جوهر شاعرية البارودي وإسماعيل صبري وحافظ إبراهيم وأضرابهم، وأصفي ما لديهم من خبرة شعرية وقدرة علي احتواء العصر شعريا.

في ظل سيطرة هذا النموذج الشوقي، لم يتح للذائقة الشعرية أن تتسع لشعر العقاد، أو أن تضعه في سياقه الصحيح من حركة التحديث الشعري. فقبل أن يتخلخل نموذج شوقي، كان شعر المهجريين المنهمر من الأمريكتين وممن تابعوهم من شعراء المشرق والمغرب العربيين، ثم كان شعر شعراء أبوللو ومغامراتهم الإبداعية من أجل تجلية النموذج الرومانسي للقصيدة العربية، وبعده نموذج قصيدة الشعر الجديد والعاصفة التي أثارها علي الحركة الشعرية العربية من حيث الحساسية والموقف والرؤية الشعرية، كان كل ذلك يباعد بين قراء الشعر وشعر العقاد، وكانت المسافة تتزايد باستمرار كلما أشرق فجر شعري جديد.

وزاد من اتساع هذه المسافة أخيرا، وربما أولا، أن شعر العقاد نفسه لم يكن كغيره من شعر معاصريه أو متابعيه، كان نموذجا يتحدي لدي متلقيه قدراته كاملة، وفي مقدمتها عقله ووعيه وفكره، وقدرته علي

التأمل والتجريد، ولم يكن هذا النموذج مسرفا في العاطفية كشعر الرومانسيين، ولا مسرفا في الجلبة والجهارة والعناية بالفخامة كنموذج شوقي وأضرابه، وليس هو شعر الحواس الظاهرة والقشرة الخارجية بقدر ما هو شعر المشاعر والعواطف العميقة، كان شعر اليقظة والوعي لا شعر الغيبوبة والحلم. وكان العقاد في هذا الشعر - كما وصفه مريده وتلميذه سيد قطب في كتاباته النقدية المبكرة عنه - شاعرا يعيش في وضح النهار. والوضوح الساطع صفة يمكن أن يباهي بها الكاتب، لكنها ليست مما يسعد به الشاعر الحقيقي.

يقول سيد قطب عن العقاد الشاعر في أحد فصول كتابه «كتب وشخصيات» وهو يتناول بالنقد والتحليل ديوان العقاد : «أعاصير مغرب» :

«في وضح النهار يعيش العقاد، صاحي الحس، واعي الذهن، حيّ الطبع، لا يهّوم إلا نادرا، ولا يتوه فيما وراء الوعي أبدا.

ومعالم الإحساس والتصور عند العقاد واضحة، وعلي رحابتها وانفساحها وعلي عمقها ودقتها يحدها إطار من الوعي المتيقظ، فلا تهيم في وديان مسحورة، ولا تنطلق في متاهات مجهولة.

علي أن للمجهول حسابه في نفس العقاد. ولكن هذا المجهول نفسه فكرة يحيط بها الوعي، ويدعو إلي فرضها العقل، وليس الإيمان بهذا المجهول توهانا روحيا ولا صوفية غامضة، إنما هو رحابة نفسية وفكرية.

ومن هذه الينابيع يتفجر شعر العقاد. فيكثر فيه تصوير الحالات النفسية وتسجيل الخواطر الفكرية، وإثبات التأملات المنطقية ـ إذا صح هذا التعبير ـ بقدر ما تقل فيه السبحات الهائمة والانطلاقات التائهة والظلال الشائعة، فكل شيء واضح وكل شيء له حدود ».

ثم يقول سيد قطب : «ويعوض شعر العقاد الجيد عن الرفرفة الطليقة تلك الحيوية المتدفقة، وعن الإيقاع المتموج تلك الحبكة الرصينة، وعن الانطلاق الهائم ذلك العمق الدقيق، وعن سبحات الصوفية التائهة صدق الحالات النفسية الواضحة.

ويبلغ العقاد قمته حين تبلغ الحيوية تدفقها فتجرف المنطق الواعي وتغطي عليه. فأما حين يضعف هذا التدفق، فيتجرد الشعر من اللحم والدم ويخيل إليك أن مكانه ليس هنا في الديوان، ولكنه هناك في كُتبه بين التأملات الفكرية والقضايا المنطقية».

بل إن العقاد نفسه في تقديمه لديوانه «بعد الأعاصير» يهاجم قول القائلين : إن الشعر وجدان، وقد كان عبد الرحمن شكري ـ زميله في جماعة الديوان ـ هو الذي وضع هذا البيت علي غلاف الجزء الأول من ديوانه :

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدانُ

ومدخله لهذا الهجوم أن القائلين به يرون أن الشاعر لا يتأمل ولا يفكر، وإلا قيل في شعره إنه كلام لا يوحيه الوجدان. لكنه يلقي بسؤاله المباغت : أيّ وجدان؟ ويقول : إنهم لا يسألون هذا السؤال وهو ألزم

سؤال، فالإنسان الهمجي له ـ في رأيه ـ وجدان وله شعور. ولكنه وجدان كوجدان الحيوان، وشعوره لا يرتقي إلي طبقة التعبير الجميل أو غير الجميل.

والإنسان الصوفي له وجدان وشعور، ولكنه إذا عبر عن وجدانه وشعوره دق تعبيره علي عقول الكثيرين أو الأكثرين. وهو يفرق في تحديد قاطع بين الإحساس والترقق، وينبه إلي سخافة شائعة في مصر والشرق بين أدعياء الإحساس ـ ممن لا يحسون ولا يفكرون ـ وهي اعتقادهم بأن الإحساس والترقق مترادفان، ويوشك أن يموت الإنسان عندهم من فرط الإحساس، لأنه يحس في زعمهم بمقدار ما يتراخي ويتخاذل ويئن وينوح.

ويخلص العقاد من كل هذا الجدل التحديدات المنطقية حول مفهومه للوجدان إلي أن الفن والأدب وجدان ولكنه وجدان إنسان، ولن يكمل الإنسان بغير ارتفاع في طبقة الحس وارتفاع في طبقة التفكير، والتمام في مزاياه الإنسانية أن يتم له الحس ويتم له التفكير.

من هنا فقد استقر في روع قراء العقاد، أن شعره شعر الفكرة لا شعر التجربة ـ بالمعني الرومانسي ـ، شعر الخاطرة التي تصل بالجزئي إلي الكلي، وتعبر المسافة بين المحدود واللامحدود، وتقبع في المسافة بين العَرَض الظاهر والجوهر الخبيء وتلعب علي الجدل بين المتناقضات ـ مجال الولع الشديد عند العقاد ـ بمنطقه وقدرته علي الجدل والمحاجّة.

ولن نجد تصورا يقربنا من النموذج العقادي في الشعر، كالذي نجده في حديث العقاد نفسه عما يسميه «الموضوعات الشعرية» في تقديمه لديوانه : «عابر سبيل» وهو الديوان الذي يستحق منا ـ نحن قراء شعر العقاد المعاصرين ـ كل الاهتمام والحفاوة لأنه يضم بين دفتيه جوهر شعر العقاد وخصوصيته المتميزة في الإبداع الشعري. فهو الديوان الذي يكشف لنا عن وعي العقاد بما هو شعري، وعن تجاوزه لما يسمي بالمعجم الشعري بالمعني الذي أكثر الرومانسيون الغربيون ونقادهم من الحديث عنه في كتاباتهم، وهي كتابات تتبني جميعها فكرة أن الشعر تعبير عن المشاعر.

فالعقاد يري أن إحساسنا بشيء من الأشياء هو الذي يخلق فيه اللذة ويبث فيه الروح ويجعله معني شعريا تهتز له النفس أو معني زريًا تصرف عنه الأنظار وتعرض عنه الأسماع، وكل شيء فيه شعر إذا كانت فينا حياة أو كان فينا نحوه شعور.

ويري أن كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبث فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر، لأنه حياة وموضوع للحياة.

ويفجر العقاد ثورته الشعرية الكبري في ديوانه «عابر سبيل» عندما يقرر أن «عابر سبيل» يري شعرا في كل مكان إذا أراد : يراه في البيت الذي يسكنه وفي الطريق الذي يعبره كل يوم، وفي الدكاكين المعروضة، وفي السيارة التي تحسب من أدوات المعيشة اليومية ولا تحسب من

دواعي الفن والتخيل لأنها كلها تمتزج بالحياة الإنسانية، وكل ما يمتزج بالحياة الإنسانية فهو ممتزج بالشعور صالح للتعبير، واجد عند التعبير عنه صدي مجيبا في خواطر الناس.

وفي رأي العقاد أننا - نحن أبناء العصر الحاضر - في حاجة إلي هذا التوجيه لإنقاذ النفس الإنسانية، لا لإنقاذ الملكة الفنية وحدها، فإننا إذا تعّودنا العناية بالأشياء وجدنا فيها ما يستحق العناية وينفض عن النفس تلك التفاهة التي غلبت علي الحياة وعلي الشعر والفن في هذه الأيام الحديثة.

أكان العقاد - في نبوءته هذه - علي وعي بما سيئول إليه حالنا، بعد رحيله عن عالمنا باثنين وثلاثين عاما؟

لقد حقق العقاد في ديوانه «عابر سبيل» ما سبق أن دعا إليه وردزورث في رفضه للمعجم الشعري الذي كان سائدا في زمانه، والذي يفرق بين لغة الشعر ولغة النثر. وتبني العقاد لغة شعرية هي لغة الناس البسطاء، التي نجدها أوضح ما تكون في قصيدته «أصداء الشارع» التي يقول فيها:

بنو جرجا ينادون علي تفاح أمريكا
وإسرائيل لا يألوك تعريبا وتتريكا
وبتراكي إلي الجود علي الإسلام يدعوكا
وفي كفيه أوراق بكسب المال تغريكا
وأقزام من اليابان بالفصحي تحييكا

وإن لا تكن الفصحي فبالإيماء تغنيكا
قريب كلها الدنيا كرجع الصوت من فيكا
دعا الداعي فلبّوه طغاة وصعاليكا
إذا ناديت يا دينار من ذا لا يلبيكا
فما في الناس هذاك ولا في الأرض هاتيكا

وهي لغة شعرية تذكرنا بالصدمة التي أحسها بعض الناس عند قراءة النماذج الشعرية الأولي في حركة الشعر الجديد، ولجوء بعض رواد هذه الحركة الشعرية إلي لغة بسيطة عارية من الزخرفة والبلاغة، لغة تتسم بالواقعية الشديدة والبعد عن تهاويل الرومانسية وجلجلة الكلاسيكية وصخبها.. وهي اللغة التي تمثلها صلاح عبد الصبور في قصيدته «الحزن» إحدى قصائد ديوانه الأول «الناس فى بلادي» وهو يقول :

يا صاحبي إني حزين
طلع الصباح، فما ابتسمت، ولم ينر وجهي الصباح
وخرجت من جوف المدينة أطلب الرزق المتاح
فشربْتُ شايا في الطريق
ورتقت نعلي
ولعبت بالنّردِ الموزع بين كفي والصديق
قل ساعةً أو ساعتين
قل عشرة أو عشرتين

وبهذا المعني، يكون العقاد سابقا لرواد الشعر الجديد ـ في تبني هذه اللغة الشعرية ـ بأكثر من عشرين عاما ـ فقد ظهر ديوان عابر سبيل في طبعته الأولي عام ١٩٣٧ ـ ولا يتركنا العقاد حتي يعود إلي تأكيد فكرته التي تمثل جوهر ثورته الشعرية وبلورتها علي هذه الصورة الشديدة التركيز وهو يقول في الصفحة الأخيرة من ديوان «عابر سبيل»:

«الفكرة في ديوان عابر سبيل هي أن مشاهد الحياة وعظات الأيام علي متناول اليد من كل إنسان إذا شاء أن يدير إليها عينيه، وأنه يستطيع أن يخلع الحياة الإنسانية علي ما حوله فإذا هو في جيش لجب من الخواطر والبدوات والخوالج والأحاسيس : عالم محشود في البيت وفي الدكان وفي الطريق وفي حيثما كان عابر سبيل».

والغريب أن هذه اللغة التي اصطنعها العقاد في «عابر سبيل» وفي غيره من دواوينه الشعرية من بعده، لم تنجح في تحريض الناس علي مقاربة شعره، أو التعامل معه، وظلت الفكرة الشائعة عن شعر العقاد والتي تدور في فلك الصعوبة والوعورة والحوشية والتعقيد هي المسيطرة، وظل الذوق الأدبي العام ينظر إلي شعر العقاد باعتباره امتدادا لدراساته في كتبه، وجها من وجوه تجلياته الفكرية، ونزعاته التأملية وولعه بالمنطق والجدل. وكان العقاد نفسه يحرص علي مثل هذا الفهم الخاطيء حين يقول في مقدمة ديوانه «بعد الأعاصير» :

«والحقيقة التي ينبغي أن نحفرها في أخلادنا هي أن الأدب الرفيع لم يخل قط من عنصر التفكير، وأن الشاهد علي ذلك أدب التحول بين

شعراء الأمم العالميين ومنهم أمثال شكسبير وجيتي والخيام وأبو الطيب.

ونخص الشعراء بالذكر لأن صدق هذه الملاحظة عليهم يجعلها أقمن بالصدق علي الأدباء الناثرين.

فأغاني شكسبير مثلا سلسلة من الأفكار التي يمتزج فيها الفهم بالشعور، ودع عنك قصائده التي نظمها في الروايات أو أجراها علي ألسنة الرجال والنساء، فإن شعر «الأغاني» أحق شعر أن يقصر علي «الوجدان» إذا صح ما يفهمه بعضهم من الأغراض الوجدانية وخلوها من التفكير.

وقصة فاوست الكبري - وهي أعظم أعمال جيتي - هي فلسفة الحياة والبقاء، وفلسفة الخير والشر، وفلسفة المعرفة والضمير، وليس فهمها بأيسر من فهم قضايا المنطق ومعادلات الرياضة والكيمياء.

ورباعيات الخيام يصحّ أن تسمي «فكر الخيام» لأن الرباعية منها تدور علي فكرة أو خلاصة أفكار، ولا يمنعها الشعور أن تكون شعور إنسان من المفكرين.

والحكم علي المتنبي ميسر لمن يقرأ العربية وحدها ولا يقرأ غيرها من اللغات، وليس في قصائده قصيدة واحدة يقول القائل إنه أهمل الفكر فيها، وإنها وجدان بغير تفكير.

فمن أمثلة ذلك القضية التي صاغها في بيت من الشعر حيث يقول :

وإذا لم يكن من الموت بـــد   فمن العجز أن تكون جبانا

أو القضية التي صاغها في هذا البيت :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كاملُ

أو هذه التقسيمات الوافية التي يقول فيها :

تصفو الحياة لجاهل أو غافلٍ عما مضى منها وما يتوقعُ

ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمعُ

ثم يقول العقاد معقبا علي البيتين الأخيرين من شعر المتنبى :

فإن التفكير إذا ذهب في هذا المعني إلي غايته لم يأت فيه بمزيد بعد الجهل والغفلة والمغالطة في الحقائق، ولم يأت بشرح للغفلة أتم من الغفلة عن الماضي والمتوقع، ولا بشرح لمغالطة النفس في الحقائق أتم من تمادي المغالطة إلي الطمع في المحال».

العقاد إذن تشغله القضية أو القضايا في الشعر، وكيف تصاغ القضية في بيت واحد من الشعر، وهي التي تشغل منه - كاتبا - العديد من الصفحات لو أراد. كما تشغله التقسيمات الوافية التي تشير إلي منطق صارم وقدرة علي الجدل، وهي التقسيمات التي جعلت بعض خصوم العقاد - الكاتب - يقولون عنه إنه كاتب يلعب بالبيضة والحجر، وإنه يستطيع أن يقول اليوم ما يهدمه غدا، وهو في الحالين قادر علي استخدام الحجة والمنطق. والعقاد حسن الظن بقراء شعره، شديد التقدير لوعيهم وقدرتهم، فهم ليسوا من العامة المسفين في الذوق والفهم - بالغةً ما بلغت الجرأة والادعاء ببعض الزاعمين - لأن العامة المسفّين لا يقرأون ما يصعب فهمه - أي شعره - علي الذين يدّعون الخبرة بالنقد والبصر والكلام، وهو المأخذ الذي يردده «الخبراء الألباء» كلما عرضوا لشعر صاحب الديوان.

والعقاد إذن علي بينة بمن يهاجمون شعره ويتقولون عليه بغير حقيقته، مدرك للمأخذ الذي يأخذه عليه من يسميهم ـ من باب السخرية والتهكم ـ بالخبراء الألباء، وهو صعوبة الفهم وعسر التناول وبعد الغاية. لكن هذا الاعتراف أو شبهته من العقاد لا تجعلنا نمضي مع هؤلاء الألباء إلي حد نفي الشاعرية كلية عن العقاد كما حاول بعضهم، ولا إلي تبني الموقف النقيض عند الآخرين الذين نادوا بالعقاد أميرا للشعر والشعراء بعد رحيل شوقي. فكلا الموقفين يبعدنا عن حقيقة العقاد الشعرية.

هل معني هذا أننا لن نجد شعرا للعقاد كالذي اعتدناه من شعراء العاطفة والخيال والتدفق الشعري؟ وهل خلا شعره من حديث الحب ومجالي الطبيعة وصبوات القلب وجموح الريشة المصورة، وهو الشعر الذي تهزنا وفرته عند شعراء أبوللو : إبراهيم ناجي ومحمود حسن اسماعيل وعلي محمود طه وأبي القاسم الشابي، كما نجده غزيرا في شعر المهجريين من أمثال إيليا أبي ماضي وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ـ أقربهم إلي روح العقاد الشعرية؟

الإجابة أن الأمر علي عكس ذلك تماما!

فمساحة كبيرة من شعر العقاد تكاد تجعل منه شاعرا رومانسيا، يشبه شعره المهجريين، ويحلق معهم في آفاقهم ويسبقهم في الريادة والاكتشاف. لكن الحب عنده يظل مختلفا، في المعني والدلالة :

غريرة تسأل ما الحب؟
بُنيّتي : هذا هو الحب :

الحب أن أبصـــر مـــا لا يري أو أغـــمض العيْن فـــلا أبصـــرا
وأن أســـيغ الحق مـــا ســـرنى فـــإن أبى، فـــالكذب المفـــترى
الحب أن أســـأل مـــا بالـهم لم يعـــشـــقـــوا المنظر والمخـــبـــرا
ويســـأل الخـــالون : مـــا باله هام بهـــا بَهّـــراً ومـــا فكرا

وقوله :

بُنّيـــــتى ، هذا هو الحبُ
فـهـمـتـه ؟ كـلا ولا عـتْبُ
مـــســـألة أســـهلهـــا صـــعبُ
لا النـاس تدر بـهـــا ولا الـكـتبُ
حـــسـبك منهـــا لو شَـــفَتْ حـــسْبُ
إشـــــارة دق لـهـــــا الـقـلـبُ

وهي قصيدة تطالعها كاملة ضمن هذه المختارات.

وشعر العقاد هو وحده ـ من بين كل آثاره القلمية ـ الذي يكشف لنا عن ضعفه الإنسانى، ويجعلنا ننسي صورة «السوبرمان» أو «الرجل الخارق» التي نخرج بها من سائر كتاباته، صورة تتشكل من عناصر العناد والإصرار والكبرياء والتحدي والشعور بالزهو والتفوق والاستعلاء علي الآخرين. أما العقاد في شعره فهو كائن شديد الهشاشة لفرط حساسيته واتقاد مشاعره ورهافة وجدانه، تنوشه الظنون ويقلق كما يقلق الناس ويبكي بكاء الطفل الذليل ويغص بالماء الذي أعده للري، ويتقلب

في نيران الجحيم ويتمني لو باع حظه كله بساعة واحدة ينسي بها عمره فكأنه لم يولد :

يوم الظنون صدعتُ فيك تجلدي
وحملت فيك الضيم مغلول اليدِ
وبكيت كالطفل الذليل، أنا الذي
مالان في صعب الحوادث مقودي
وغصصت بالماء الذي أعددته
للريّ، في قفر الحياة المجهدِ

وهناك من يري أن هذه القصيدة، يوم الظنون» هي من بدائع العقاد الشعرية، وشاهد علي حقيقة شاعريته، بل إنها عروس قصائده علي الإطلاق. وهو افتنان بشعر العقاد ليس بالمستغرب علي تلامذته ومريديه والراغبين في إنصافه شعريا، وقد يبالغ بعض هؤلاء فيفردون لقصيدة العقاد في رثاء «مي» موقعا يتقدم قصيدته «يوم الظنون»، ومنهم من يري أن قصيدته عن «الكروان» التي ضمها ديوان «هدية الكروان» هي الأولي بالتقديم والإشادة.

وفي هذه المختارات من دواوين العقاد، نطالع بكائيتين للعقاد تمثلان أصدق شعره عاطفة وحرارة في مجال بكاء الأحباء ووداعهم. إحداهما في وداع «مي» التي شغفت عددا من كبار أدباء ومبدعي زمانها حبا وولهًا، واستطاعت أن تقنع كلا منهم بأنه ـ وحده ـ المقرب الأثير، وكان العقاد في مقدمة هؤلاء. والثانية في وداع «بيجو» كلب العقاد الأثير،

اللصيق بوجدانه وقلبه. ومن الإنسان إلي الحيوان يرقي العقاد في إبداعه الشعري، وفي تعبيره عن مشاعر اللوعة والفقد، إلي ذروة بعيدة سامقة، لا نألفها كثيرا في شعرنا العربي. والبكاء عند العقاد ممتزج كعادته بالفكر والتأمل، والارتفاع عن الموقف المحدود إلي المعني الكلي والرؤية الفسيحة الشاملة. ها هو ذا العقاد وجها لوجه مع الموت، يواجهه ويستصرخه ويثور عليه، ويحقد علي التراب الذي يضم وديعتين غاليتين، وروحين نادرتي المثال :

كل هذا فى التراب .. آه من هذا التراب !

ولا يفوته أن يسترجع مخزونه الثقافي والنفسي عن الحيوان عامة والكلب خاصة، ويستحضر - بشاعريته - قطمير، الكلب الذي صحب أهل الكهف وارتبط اسمه بهم، وكل الكلاب في رأي العقاد - والذين هم علي شاكلة بيجو محبة ووفاء وذكاء ورهافة شعور - هم آل قطمير، المذكرون به وبأسطورته في النبل والوفاء :

يا آل قطمير هواكم عجيب

إن ثمة خزانا للدمع يمتليء به وجدان العقاد، وينهمر في بكائياته شاعرية دامعة، ومشاركة أسيانة، وضعفا إنسانيا مرتطما بالقدر، ومتصلبا في مواجهته وتحديه.. وهي الثنائية التي مثلها العقاد دوما باعتباره تجسيدا لحوار الصخر والنهر في مهاد نشأته الأولى : أسوان، حيث يشمخ الجرانيت والصوان في عناق النهر المتدفق، المتليء بالجنادل والصخور. هذه الثنائية التي نطالعها في تجليات شعره : انسيابَ رقةٍ

ووعورةَ خشونة، نزقَ طفولة وحكمةَ كهولة، اندفاع عاطفة وروية عقل وفكر، رضًا يتسع فيحتوي العالم وغضبا يشتعل معلنا عن رغبة في تدمير الكون - هي التي أودعت شعره هذه الفصول المختلفة من الطقس النفسي والفني، وأغنت رحلته مع الشعر بحصاد من التجارب المتميزة، والأصداء النادرة والمعالم الفريدة.

أليس هو القائل في تقديم شعره لقارئه مؤكدا هذه الثنائية :

هذا كـتـابي في يد القـراءِ
ينزل في بحـر بلا انتـهـاءِ
فـيـه من الحكمـة والغـبـاءِ
وفـيـه من يأس ومن رجـاءِ
وفـيـه من حب ومن بغـضـاءِ
وفـيـه من صمت ومن ضوضاءِ
صـورة مَـحْـيـايَ لعين الرائي
فـليلْقَ بين القـدح والـثـناءِ
مـا شـاءت الدنيـا من الجـزاءِ

وشيئا فشيئا سينحسر عنا وجه العقاد : الكاتب الموسوعى، لأن عصر التخصص وثورة المعلوماتية والانفجار المعرفي يتجاوز العقاد - فيما تناوله في كتاباته - بكثير. فلم تعد آراؤه في النبات أو الحيوان أو الفلك أو الطبيعة أو التاريخ - مثلا - صالحة للاستمرار أو مخاطبة الحاضر والمستقبل. ولم تعد وفرة اهتمامه - بالكتابة في كل شيء - تَشُدُّ

القاريء المعاصر الذي يسعي إلي التخصص الضيق والتناول العميق.. ولن يبقي من العقاد إلا شعره، خطابا إبداعيا يتجه إلي قاريء كائن وقاريء لم يوجد بعد. وستبقي في هذا الشعر صورة العقاد الحقيقية ـ إذا أخذنا بنظرية المرايا واعتبرنا الشعر مرآة للشاعر أو صورة لبيئته وعصره وزمانه، وجهده الإبداعي المستمر من أجل البرهنة علي مفاهيم جديدة للشعر دعا لها منذ صيحته الأولي في كتاب الديوان الذي أصدره بالاشتراك مع زميله في رحلة الحياة والفكر : إبراهيم عبدالقادر المازني، فى عام ١٩٢١، ثم عاد إلي تأكيدها وبلورتها في كتابه «شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضى» عام ١٩٣٧، ولم يفته أن يشير إليها في مقدمات دواوينه الشعرية، بل وفي تقديمه للجزء الثاني من ديوان عبدالرحمن شكري. وقد يري البعض أن المسافة شاسعة بين ما نادي به العقاد من فكر وتنظير وما أنجزه من إبداع شعري وأنه في كثير من جوانب هذا الإبداع لم ينجح في التحرر من أسر النموذج الشوقي فجاءت بعض قصائده علي غرار قصائد شوقي من حيث التناول والصيغة وإن لم تَرْقَ إلي أفقه الكلاسيكي فخامة وروعة بناء.

نعم، سيبقى العقاد الشاعر أضعاف بقاء العقاد الكاتب. وسيبقى إبداعه الشعري المتميز، يجتذب مريديه وعاشقي فنه، ونموذجه الشعري، وجمهرة أخري يتملكها الفضول، فتقترب من تخوم هذا العالم الثريّ المتميز تحاول أن تكون من وارديه.

وهذه المختارات ـ من دواوين العقاد ـ محاولة لفتح الباب أمام قراء هذا الجيل ليعرفوا العقاد الشاعر علي حقيقته، وليقتربوا من نماذجه الجميلة وإبداعه الباقي، وليصافحوا فيه لغة غير تلك التي عرفوها عنه في دراساته وترجماته وعبقرياته، ندّية بماء الشعر، مشتعلة بصهد الحياة ووقدها اللافح، مبتلة ـ في أحايين كثيرة ـ بانهمار الدموع.

لقد كان العقاد يري ـ كما سجل في تقديمه لديوانه الأول ـ أن الشعر يعمق الحياة، فيجعل الساعة من العمر ساعات : «عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التي يعرض عنها سواك ممتزجة طويتك بطويته الكبيرة، تكن قد عشت ما في وسع الإنسان أن يعيش، وملأت حقيبتك من أجود صنف من الوقت ...».

فلنملأ ساعات العمر بمثل هذا الشعر العميق البديع، نغنم أعمارا من المتعة والبهجة، والنشوة الرفيعة، تضاف إلي الأجل المحدود.

فاروق شوشة

مختارات من شعر العقاد

العقاد

الإهداء

إيه يا من أوحت الشـعـر وخـانت شـاعـرَهْ
لك أهديه لِوَحـيك

* * *

إيه يا من ليس يُوحيه ويمسي ذاكـرَهْ
لك أهديه لرغـيك

* * *

هكذا أبرأ في الحـالين من حَـمْـد خـيانة
وأصـونُ العـهـد ممن رام شـعـري بصـيانة
وأداري حـيْـرتي خـافـيـةً أو ظاهرة!

غزل ومناجاة

ارتحال المنى

منِّنى أطيب المنى يا حبيبي فالمنى وحدهن منك نصيبي
إن يَفتنا منالها لم تفتنا نظرة من خيالها المرقوب(1)

* * *

منِّني، بل دع المنى يا حبيبى فشقائي في الموعد المكذوب
هان فقد المنى التي لم تَعِدنا وافتقاد الموعودِ جدُّ صعيبِ

* * *

أعطني! أعطني إذن يا حبيبي غيرَ ما ناكث ولا مستجيبِ(2)
أعطني صفوك ارتحالا ودعنا من مطالٍ بالوعد أو تقريب(3)
فارتحال المنى أحبُّ لنفس شبعت من رويَّة التجريب(4)

---

(1) المرقوب: المأمول والمنتظر.
(2) الناكث: من يخلف وعده.
(3) المطال: التسويف والتأجيل.
(4) الروية: الحكمة والنضج والخبرة.

أغنيات

هذه الأغانى نظمت لتنشدها المطربة «نادرة» في رواية من روايات الصور المتحركة حسب المواقف التي تعرض لأبطالها، وهذه الأغنية التالية تنشد في زورق يجري علي النيل عند القناطر الخيرية تحت أشجار الصفصاف التي تطل علي الشاطيء، وفي الزورق المحبان يتناجيان، والحبيبة تنشد :

في الهوى قلبي زورقٌ يجرى
أين يمضي بي نهره الخمرى
ليتني أدري

* * *

ليته يجري يا أبا الأنهار
مثلما تسري في حِمَى الأقدار
حولك الأزهار

* * *

حولك الصفصاف مسبل الشعر
ناعس الأطياف سابح الفكر
في الهوى السحري

* * *

يا رياض النيل علّمي قلبي
فرحة التهليل عشت للحب
يا منى الصب

* * *

قال لي قلبي والهوى يرعاه
هو في قربي ما الذي أخشاه
عندما ألقاه

* * *

أمسية على النيل

وهذه الأغنية تنشد على شاطىء النيل بعد الغروب

يا حبيبي أنت ريٌ ليس في الماء نظيره
يا حبيبي أنت ظل ليس للروض عبيره

* * *

يا حبيبي أنت بدر أين نور البدر منه؟
أين نور زانه الحب ونور لم يزنه؟

* * *

أنت عندي كل شيء! كل ما شئت يكون
قل لهذا الليل يبقى ومع الليل السكون

* * *

قل له فهو نجيٌ مرهف السمع إلينا
كيف يَعْصي لك أمرا والهوى طوع يدينا

* * *

الزوجة المهجورة

يوم ميلادها

وهذه الأغنية تنشدها الزوجة التي هجرها زوجها يوم ميلادها ولم يرض أن يلازمها في المنزل ليشاركها في الاحتفاء بهذا اليوم :

مـــولدي يـوم شـــقـــائي ... مـــات فـي المهـــد رجـــائي

لـيس فـي قـلـبي عـــــزاءُ ... أين في الدنيـــا عـــزائي!

أحـــسب البـــدر ظلامـــا ... وهو مـــصـــبـــاح الســـمـــاءِ

لاح فـي الأُفـق وحـــيـــدا ... ومـن الـوحـــــــدة دائـي

كم أرانـي الـنـور حـــزنـا ... كـــان في طيِّ الخـــفـــاءِ

إغـواء

وهذه الأغنية تنشدها بطلة الرواية على مسمع من صاحبها لتوحي إليه أنه هو المقصود بحبها وغنائها، وقد كان يجهل ذلك :

هـل درى مـن أحـــبــــه ‏ ‏ ‏ ‏ أين فـي الحب مـطمـــعـى؟
هـل مـــعـي الآن قـلبــــه ‏ ‏ ‏ ‏ مـثلمـا سـمـعـه مـعي؟!

* * *

هــــل أراه بــــنـــاظـــري ‏ ‏ ‏ ‏ أم أرى الـطيـف بـالرجـــاء
ربمـــا بـــات زائـــري ‏ ‏ ‏ ‏ وهو فـي البـعـد كـالسـمـاء

* * *

لـيـتـه يـكشف الـضـمـيـر! ‏ ‏ ‏ ‏ لـيــتـني بـالهـــوى أبوح!
فـاكـشـف الروض يا عـبـيـر ‏ ‏ ‏ ‏ إنّ عـطـر الـهـــوى يـفـــوح

* * *

شـــرعــة القلب شـــرعـتي ‏ ‏ ‏ ‏ مـا احـتـيـاجي إلى شـفـيع
إن تـسلني فـــحـــجــتي ‏ ‏ ‏ ‏ فـي يـدي ـ زهـرة الـربـيـع

في ساعة انتظار

يا ساعة الصفو غبت عني وحيَّرَتْ لوعتي خطاك
تائهة أنت في طريقي هداك نور الهوى هداك

***

أبطأت يا ساعة التمني وموعد الملتقى قريب
هل يبطيء البين لو سعى لي كما سعى موعد الحبيب

***

أصبحت في لهفتي عليه أنتظر الليل بالنهار
طال انتظاري له فماذا في الغيب يا ليلُ بانتظاري

***

الصدار الذي نسجته

هنا مكان صدارك ... هنا هنا في جوارك

***

هنا هنا عند قلبي ... يكاد يلمس حبي
وفيه منك دليل ... على المودة حسبي

***

ألم أنل منك فكرة ... في كل شكة إبرةْ
وكل عقدة خيطٍ ... وكل جرة بكرة!

***

هنا مكان صدارك ... هنا هنا في جوارك
والقلب فيه أسير ... مطوّق بحصارك!

***

هذا الصدار رقيب ... على الفؤاد قريب
سليه : هل مرّ منه ... إليّ طيف غريب؟

***

نسجته بيديك ... على هدى ناظريك
إذا احتواني فإني ... ما زلت في إصبعيك

قواي مع السلامة

نعم مع السلامة والحب والكرامة

* * *

حديثك الممتع لي

من ثغرك المقبَّل

وأنت لي في منزلي

وشيكةٌ أن تخجلي

من قبلة حَرّى إلى لغو إلى ابتسامة

ولا تقولي عندها لا. لا. مع السلامة

حتى إلى القيامة

* * *

أما إذا مِسرّتي

نادتك يا حبيبتي

فاستمعي تحيتي

ثم «اسألي عن ليلتي»

ثم اضـحكي وسلسلي

ضـحكتك النّغـامـة

فـــإن أطلتِ بعـــدها　　فـــهـــذه عـــلامـــة

قـــولي مع الســـلامـــة　　قـــولي مع الســـلامـــة

في النفس

هذا هو الحب!

غـريرةٌ تسـأل : مـا الحب؟
بُنيـــتي ! هـذا هو الحب!

الحب أن أبصـر مـا لا يُري   أو أغـمض العين فـلا أبصـرا
وأن أسيـغَ الحق مـا سـرَّني   فـإنْ أبى، فـالكَذِب المفـترى

* * *

الحب أن أسـأل : مـا بالهم   لم يعـشـقوا المنظر والمخبـرا؟
ويسـأل الخـالون مـا باله   هام بهـا بهْـراً ومـا فكَّرا؟[1]

* * *

الحب أن أفــرق من نملة   حيناً، وقد أصرعُ ليثَ الشَّرى[2]
وأن أراني تارةً مـقـبـلا   وخطوتي تمشي بِيَ القـهـقرى

* * *

(١) بهرا : انبهارا وإعجابا.
(٢) أفرق : أخاف وأفزع.

الحب كالخمر فإنِ قيل لي ... سِكرتَ؟ هَمَّ القلبُ أن يُنْكِرا
وكلّ عضو بعده قائل ... نعم، ولا أحفل أن أسكرا

* * *

الحب أن يَفْرِقَ أعمارنا ... عهدان، والعهد وثيق العُرَى
أخسبني الأكبر حتى إذا ... عانقتِني ألفيتِني الأصْغَرا(١)

* * *

الحب أن نصعد فوق الذرى ... والحب أن نهبط تحت الثرى
والحب أن نؤثر لذاتنا ... وأن نرى آلامنا آثرا

* * *

الحب أن أجمع في لحظة ... جهنم الحمراءَ والكوثرا(٢)
وإنني أخطيءُ في لهفتي ... مَنْ منهما رَوَّى ومَنْ سعَّرا(٣)

* * *

الحب أن يمضي عام وما ... هممت أن انظم أو اشعرا
وربما علّقت في ساعةٍ ... حواشي الدفتر والأسطرا

---

(١) ألفيتنى : وجدتنى.
(٢) الكوثر : نهر في الجنة.
(٣) سعّرا : أشعل اللهيب وأيقظ العطش.

بُنيَّـــــــــتي! هـذا هـو الحبُّ
فَـهِـمْـتِـه؟ كـلا. ولا عَـتْبُ!
مـســـألةٌ أسـهلهـا صـعب
لا الناس تدريهـــا ولا الـكتبُ
حسـبك منهـا، لو شَـفَتْ حسبُ
إشـــارةٌ دق لـهــــا الـقلبَ

عدنا والتقينا

التقينا

والتقينا!

عـجـبـاً كـيـف صـحـونا ذات يوم فـالتـقـينا

بـعـد مـا فـرّق قُطرانِ وجـيـشانِ يدينا[1]

فـتـصـافـحنا بجـسـمـينا وعـدنا فـالتـقـينا

بعد عصر!

أي عصر؟

والنوى تجـري وسـر الحب في الأكـوان يجـري

ثم نادانا تعـالوا فـاهبطوها أرض مـصـر

قـضي الأمـر كـمـا شـاء، وعـدنا فـالتـقـينا

* * *

كم بكيتِ

واشتكيتِ

(١) كان الشاعر قد ترك مصر إلي السودان عندما تقدم جيش روميل الألماني من حدود مصر - أثناء الحرب العالمية الثانية - وهذه القصيدة تنبض بمشاعره بعد العودة إلي الوطن.

ثم ألهمتِ على الغـيب فأصغينا وقلتِ
قلتِ في السابع والعاشر من شهر سيأتي
ها هنا سوف تراني، فرأينا والتقينا

***

يوم ذكرى
ذاك أحرى
بالتقاءٍ كلما دار به الحول وأسرى
في سماء تعبر الشعرى وتدني كل شعرى[1]
كيف يلقانا وحيدين غدٌ فيه التقينا

***

قبل عام
ثم عام
كان يوم، أيّ يوم، في صفاء وابتسام،
يوم لاقى الحب لحظينا على عهد الدوام
فتعاهدنا وقلنا : كلما عاد التقينا

***

(١) الشعرى : كوكب مضيء يظهر عند شدة الحر.

وتداني

وكلانا

زائغ الطرفِ يناجي قلبـاً ولسـانـاً

ثم مـاذا ؟ ثم كن يا بُعْـد لي قـربا ، فكانا

واسـتـعـان الحب بالداء حليـفـاً فـالتـقـينا

* * *

كم غرام

وسـقام

عـرفـا الحلف غلى غـيـر سـلام ووئام

فـإذا مـا اجـتـمـعـا فـانتـزعـاني من مـقـامي

فـبـحـسـبي منهـمـا أنا شكونا فـالتـقـينا

* * *

يا فتاتي

يا حياتي

لا تـراعي بـعـد هذا من فـراق أو فـوات

قَـدَرُ الله كـفـيـل لـك في مـاض وآت

كلمـا فـرّق شـملينا دعـانا فـالتـقـينا

* * *

جمال يتجدد

كلما قلتَ لي الربيع جميلُ   قلتُ : حقاً، وزاد عندي جمالا
عجباً لي، بل العجيبة عندي   صور الكون كم يسعن كمالا
خلْتني قد وعيتهن عِياناً   وتتبعت من وَعَوْها خيالا
شاعراً عاشقاً وقارىءَ كتْبٍ   قرأ الكتب دارساً، فأطالا
فإذا نظرةٌ بلحظك تبدي   صوراً ما طرقن عنديَ بالا
بِعِدادِ الانوار في أعين الحب   نعد الأكوان والأجيالا

القُبلة

هي كـأس مِن كـؤس الخـالدينْ   لم يَشُـبهـا المزج من مـاء وطين

كلمـا أفـرغـتَـهـا منتـشـيـاً   مُلئتْ من كـوثر الخلد المعين[1]

وإذا أمـــتــعك الريّ بهـــا   بدأ الشـــوق إليـــهـــا والحنين

قـد شـربناها مـعـاً في ليلنا   فـرَوِينا ، وافـتـرقنا ظامـئين!

---

(١) المعين : الظاهر الذى تطالعه العين وتراه.

حسرة متلفة

يــا لـــه مـــن فـــمٍ   يا لهــا من شــفــة !
يا لشَــهــد بهــا   كــدت أن أرشــفــه
يا لـزهـز بـهــــا   كــدت أن أقطفــه
حلوةٌ ويحـــهـــا!   غــضــة مــرهَفَــة
حــســـرتي بعــدها   حــســرةٌ مــتلفــة

الجسم الضاحك

ثغرك الضاحك، لا بل وجهـ ـك الضاحك، لا بل كل جسمكْ
لا بل الدنيا التي تو مض نوراً حول نجمكْ
هكذا فليبسم البا سم إن شاء كبسمكْ
أو فَيَنسى البِشْرَ حتى ينقل البشْر، بلثمكْ
لا يلام العابس اليا ئس إلا بعد لومكْ

بعد عام

كـــاد يمضي العـــام يا حلو التـــثني   أو تـــــولّـــــى
مـــا اقـــتـــربنا منك إلا بالتـــمني   لـــــيـــــس إلا

* * *

مـــذ عـــرفناك عـــرفنا كـل حـــسن   وعـــــــذابِ
لهبٌ في القلب، فـــردوس لعـــيني   في اقـــتـــرابي

* * *

غـــيـــر أنا لا نرى الفـــردوس إلا   رســـمَ راســـمْ
وشـــربنا من جـــحـــيم الحب مُـــهـــلا   شـــرب هـائـم

* * *

لا تـلـمني أنَّ قـلـبي خـــــانـني   أو عـشـــقـــتُكْ
لـــم يـــكـــن مـــنّـــيَ إلا أنـــنـــي   قـــد رأيـتـكْ

* * *

كـــان فـي الدنيـــا جـــمـــال لا يُعَـــد ثم لُحـــتـــا
فـــعـــددنا الحـــسن طراً فـــهـــو فـــرد وهـو أنتـــا

* * *

أين حـــسنِ كـــان يجلوهُ النهـــارُ هل لبستَـهُ؟
هل ورثت الصـــبح والصـــبح مُنارُ أم قـــتلتـــهُ؟

* * *

تتـــهـــادى ويح قلبي في خطاك لـــستَ تـــدري
لـــســـتَ تـــدري أي نـــار إذ أراك ضِـمْنَ صَـدري

* * *

ضـاحكاً يفْـتَـرّ نور البـشـر عنكا كـــيف تعلم
أن قلبـــاً دون قِـــيـــدِ الرمحِ منكا قـــد تحطمْ؟

* * *

زده داءً لا شـــفى الله جـــواه كـم أســـاء
من دعـــاه للتـــصـــابي من دعـــاه؟؟ زده داء !!

* * *

أو فحسب القلب ماطَمَّ وأربى	لا تُبده
قد دعاه الله للحب فلبّى	لا تزده

* * *

نحن قوم يا حبيبي قد خلقنا	للجمال
إنِ أجاد الله في الخلق أجدنا	في المقالِ

* * *

صاغنا الله لشدو وغناء	حيث كنا
ونهانا عن جمود وجفاء	فانتهينا

* * *

قال غَنّوا وصفوا خلقي البديعْ	في القصيدِ
واطلبوا أجركمو عند الربيع	والخدودِ

* * *

ليس يُعْلي آيَ فنّي غيركُمْ	حين تعلو
شكرها منكم ومنها شكركم	ذاك عدل

* * *

مـــالكم أجــــر من الدنيــــا ســـواه　　　فــــاغنمـــوه
يـا ذوي الحـــــــــسن بـذا أوصـى الإلـهُ　　　فـا سـمــعـوه

* * *

قـــد وَفَـــيْنَا دَيْنَنَا فـــاوفـــوا الديونا　　　هل رضـيـتم؟
وشـــدَوْنا فـــتـــعـــالَوا أسـعــدونا　　　لا شـقـيـتم

* * *

مــا أتمَّ العـــيشَ لو تـصــفـو القــوافي　　　والـغــــرامُ
شـــاعـــر يشـــدو ومـــحـــبـــوب يوافي　　　والـســــلامُ

* * *

طلاء نفس

زرقةُ عينيكِ لا صفاءُ فيها، ولكنه فضاء!
حمرةُ خديكِ لا حياء، فيها، ولكنه اشتهاء!
قوامك الرمحُ لا اعتدال فيه، ولكنه اعتداء![1]
يا حيرة القلب في هواه! يا غاية العمر في مناه
وجهك سبحان من جلاه ولوَّث النفس بالطلاء![2]

* * *

حبك لا نعمة أراها فيه، ولكنه جزاء
من في الصِّبا جرتُ في هواها!
من تلك مقبولة الدعاء؟[3]
أنت عقابي فهل كفاها بَرْحُ شقائي أو لا اكتفاء!؟[4]
يا جنة حسنها عقابُ يا خمرة عذبها عذابُ
متى متى ينطوي الكتابُ؟
متي فراقٌ بلا لقاء!

(١) القوام الرمح: الشبيه بالرمح في الاعتدال والاستقامة. (٣) جُرتُ: جاوزت الحدّ وخرجت على المألوف
(٢) جلاه: صوره وأظهره في أبدع صورة. (٤) برح الشقاء: شدته وقسوة تعذيبه.

عيش العصفور

حطَّ على الغـصن وانحـدر   أقلَّ من لمحـة البـصـر
مـغـرداً قط مـا توانى   مـرفـرفـاً قط مـا استـقـر
يلمس أيكاً بُعَـيْـد أيكٍ   كـأنما يـلمـس الإبر[1]
مـطـارداً لا إلـى طـريـد   مـسـابقـاً لا إلى وطر
كـخـفـة الطفل في صـبـاه   لكنهـا خـفـة العُـمُـر
وروده نغـبـةٌ فـأخـرى   من خـوّف الطائر الصـدَر؟[2]
يقـارب السُّحْبَ ثم يهـوي   يبـشـر الروض بالمطر
أصـدق من سـار في سـرار   بين الحـيا العـذب والشجر[3]
ويسـتـحث الرياح ضـرباً   بخـافـقيـه فـتـبتـدر
لله مـا أهـول المطـايا   وأضـعف الراكب الأشـِر[4]
طار وليـداً وطار شـيـخـاً   بين البـسـاتين والغـدُر
لا أعين الماء ناضـبـاتٌ   ولا خـلا الروض من ثمـر
أخـبـرُ بالنضج مـقلتـاه   ممن سـقـى الحب أو بـذر
سـلـه عـن الجـنـد والـزمـر   سـلـه عـن المُلْكِ والسُّـرُر[5]

(١) الأيك : الشجر الكثيف الملتف.   (٤) الأشر : المرح
(٢) نغبة : رشفة قليلة.   (٥) الزمر : جمع زمرة أي الجماعة والمقصود الأعوان. السُّرر : جمع سرير أي العرش.
(٣) الحيا : المطر.

لم يأته عنهم بلاغ ولا دليل ولا خبر
هذا هو العيش فاغبطوه عليه يا أيها البشر

***

هذا هو العيش فارحموه عليه واستخبروا الغِيَر(١)
فإن سألتم فسائلوه عن صولة الصقر إن كسر(٢)
وحيلة الدِّبْقِ في ثراه وغيلة الحية الذكر(٣)
هناك ينزو له فؤاد لا يجهل الريب والحذر
لم يخف عن أعين الليالي ولا توارى من الصغر
حبائل الدهر قانصات من طار أو غاص أو خطر(٤)
من عاش يوماً أو بعض يوم يعلم ما ضرية القدر
أليس هذي الحياة ذخراً وحارس الذخر في خطر؟؟

(١) الغير : صروف الدهر وأحداث الزمان.
(٢) إن صار كاسرا : أي منقضا على الفريسة.
(٣) الدِّبْق : الشَّرَك الذي ينصبه الصياد للفريسة.
(٤) خطر : مشي وهو يشعر بالتيه والكبرياء.

الوداع

معربة عن بيرنز [1]

قُـبلة بعـدها يطول الفـراق | وعناق، وليس بعـدُ عناق
سوف أبكيك والمحاجر شكرى | بدمـوع من الفـؤاد تراق [2]
سوف أدعوك في الدجى بأنين | وزفيـر في الصدر منه احتراق
كيف يشكو من عثرة الجد ظلماً | مَن محـيـاك نجـمـه الألاق [3]
بيد أني درجت في ظلمة اليأ · | س فحَـولي من الظلام نطاق
لست ألحى على الهيام فؤادي | قـدرُ الحب دفـعـه لا يطاق [4]
من رآها فكيف يسلو هواها | يعشق القلب إذ ترى الأحداق
آه لولا صـبـابة وغـرام | قد شربناه والكؤوس دهاق [5]
ما غدونا ولي فؤاد كسير | وجـبين سـيـمـاؤه الإطراق
فسلاماً يا قرة العين والقلـ | ـب وأحلى من صورِّ الخلاق
حاطكِ الله بالسعادة والحب | ورواكِ مـاؤه الرقـراق
قُـبلةً بعـدها يطول التنائي | وعناق، أوَاهُ! ثم افـتـراق

(١) القصيدة مترجمة عن الانجليزية.
(٢) شكرى : ممتلئة. تراق : تسكب وتنهمر.
(٣) عثرة الجد : خيبة الحظ وفشله. الألاق : المشرق المتألق.
(٤) ألحى : ألـوم.
(٥) دهاق : ممتلئة.

النوم

أيا ملكاً عرشه في العيوْ ... ن يظلل دنيا الكرى بالجناح[1]
ضممت عليك جفوناً ترا ... ك أبرّ بها من وجوه الملاح
تُلم بأهدابها في الظلا ... م فتنسى جبين الزمان الوقاح
وتدني إلينا بعيد الرجا ... ء إذا الدهور ماَطلَنا بالسماح
أراك خلقت لنا هدنة ... تعاودنا في مجال الكفاح
إذا ما رفعنا سلاح الجلا ... د تُلمُ فنُلقي إليك السلاح
فتجمع بين الظباء الضعا ... ف وبين ليوث الشرى في وشاح[2]
ويجفو الحبيب فتؤتي المشو ... قَ من لذة الوصل ما لا يتاح
وتحرس أجسامنا في المها ... د وتخلي لأرواحهن السراح
تحلق بالروح بين النجو ... م تلقات وبين البطاح
وتبعث طيف الزمان القد ... يم قد نام في لحده واستراح[3]

(١) الكرى: النوم.
(٢) الظباء: الغزلان. ليوث الشرى: الشرى موضع اشتهر بكثرة الأسْد فيه والليوث: الأسْد.
(٣) اللحد : القبر.

وتسـسبق بالحـالمين الزمـا ن إلى زمن سـره لا يبـاح
كـأن الرقـاد أبٌ مـشـفقٌ يعلل طـفـلاً أطال النواح
يلقّـيـه تمثـالِ زُهْر النجـو م وكـان له في النجوم اقتـراح
أمـانيٌّ يحظى بهنَّ النيـا م، وجِدُ الحيـاة شبيـه المزاح
ولو رام يسـعى إليـهـا امـرؤ تقـضّى به الدهور دون النجاح
إذا كـان عـيش الفـتى لا يدو م فـهـزل المنام كـجِدّ الصـباحْ

زهريات

وردة محزنة

وردتي! فيم أنت ضاحكة | يلمح البشرَ منك من لمحا(١)
فيم هذا الجمال يحزنني | رونق فيه كان لي فرحا
كنت أهوى الورود أصلحها | ما لذكرى الحبيب قد صلحا
هو في نيستي هديته | وهو فوق الغصون ما برحا
وأخال القبولَ يرمقه | واضحاً فيه كلما وضحا
ثم ولى الهوى وأعقبني | نظراً ينكر النهار ضحى(٢)
فإذا الورد غصّة وشجًا | يتراءى بالهجر لي شبحاً(٣)
وإذا الزهر كاليتيم إذا | راق في العين حسنه جرحا
كان للحب زينة فغدا | أثراً فوق لحده طُرحا
الذبول الذبول أرفق بي | من رواء يزيدني ترحا(٤)

---

(١) البشر : السرور.
(٢) أعقبني : أتبعني.
(٣) الشجا : ما يعترض الحلق من عظم ونحوه.
(٤) رواء : جمال وبهاء. ترحا : حزنا شديدا.

سيان

إن قـــيل بالحق أو البـــهـــتـــانِ
دعـــهم يقـــولون، وقل ســـيـــانِ![1]
ســـيـــانِ مـــهـــمـــا افـــتـــرق الضـــدان
ســـيـــان مـــهـــمـــا اختلف الخَـــصْـــمـــانِ
ســـيـــان ألـفٌ هـي أو ألـفْـــانِ
ســـيـــان بيـــدٌ هي أو مـــغـــان[2]
ســـيـــانِ نـور أو ظلامٌ فـــانِ
ســـيـــان من يلهـــو ومن يعـــاني
قـلْـهـــا بـبـــرهـان ولا بـرهـانِ
وأنـت أنْـتَ أحـكـم الـزمـــانِ
وإن تَـصَـــدّوْا لـك بـالـنـكـران[3]
أو ضـــحكوا سُـــخْـراً فـقـلْ ســيـانِ![4]

(١) سيان : مثنى سيّ : وهو المثل والنظير.
(٢) بيـد : جمع بيداء أي صحراء. مغان : جمع مغنى: المكان الأهل بالحياة والناس.
(٣) تصدوا : تعرّضوا وقاوموا.
(٤) سُخرا : استهزاء وسخرية.

نفثة

ظمآنُ ظمآنُ لاصوب الغمام ولا عذب المدام ولا الأنداء تُرويني(١)
حيران حيران لانجم السماء ولا معالم الأرض في الغمَّاءِ تهديني(٢)
يقظان يقظان لاطيب الرقاد يُدا نيني، ولا سمر السُّمَّار يلهيني
غصّان غصّان لا الأوجاع تُبليني ولا الكوارث والأشجان تبكيني(٣)
شعري دموعي وما بالشعر من عوض عن الدموع نفاها جفنُ محزون
يا سوءَ ما أبقت الدنيا لمغتبطٍ على المدامع أجفانَ المساكين
هم أطلقوا الحزن فارتاحت جوانحهم وما استرحتُ بحزن فيَّ مدفون
أسْوانُ أسوان لاطب الأساة ولا سحر الرُّقاة من اللأواء يشفيني(٤)
سأمان سأمان لا صفو الحياة ولا عجائب القدر المكنون تعنيني(٥)
أصاحب الدهر لا قلب فيسعدني علي الزمان ولا خل فيأسوني
يديك فامحُ ضنىً يا موتُ في كبدي فَلَسْتَ تمحوه إلا حين تمحوني

(١) الأنداء: جمع ندى.
(٢) الغماء : الشدائد العظيمة.
(٣) غصان : ممتلىء الحلق بالماء.
(٤) الأسوان: الشديد الحزن والأسى. الأساة: الأطباء والمفرد: الآسي.
(٥) المكنون : المصون والمحفوظ.

أين الدموع

يا غزير الدموع! أين الدموعُ؟ كم تريد البكى وما تستطيعُ

كيف سلواك والفؤاد بما يُسْـ ـليه في فاجعاته مفجوع(١)

لهفَ نفسي عليك يا قلب يأبى فيك إلا الكُمونَ داء وجيع(٢)

عبراتٌ، بُرءُ الجوى لو أريقت، وسمام حتى تراق نقيع(٣)

كمنت فيك لا تفيض ولا تبر د فالصدر من شجاها صديع(٤)

لو جرت في السحاب أجفل أوياً زمُ عن سَبْحه الفضاء الوسيع(٥)

نضب الدمع أم مجاريه سدّت أم فؤادي تاموره مقطوع(٦)

كلما رمت في الجوانح ماءً هاج للنار بينهنّ سطوع

(١) السلوى : العزاء.
(٢) الكمون : الاختفاء والتواري بعيدا عن العيون. الوجيع : الموجع
(٣) العبرات : الدموع. السمام : جمع سم. النقيع : المهلك.
(٤) صديع : متصدع، متهالك.
(٥) يأزم : يواظب علي الأمر ويلزمه. السبح : الجرى الشديد. يقال للحصان السريع: سابح
(٦) تاموره : قلبه أو غلاف قلبه.

من يذق غصة الشراب فما بي غـصـة غـيـر أن تفـيض الدمـوع

إنما الحزن ريض ما استـقى الد معَ وأندى الأحـزان حـزن رضـيع

يحـرق الجـمـرُ يابسَ الحطب الجز ل ويأبي الحـــريق لدنٌ مـــريع

فـيك يا حب كل هذا ؟ فـبـعـداً لـك داءً تـرياقـــــه ممنـوع(١)

غـــمـــرات وخـدعـــة وجـــهـــادٌ وســـهـــاد وحـــســـرة وولوعُ

(١) ترياقه : دواؤه.

متى!

متى يا عيون يعود الضياءُ؟ متى يا رياض يعود الربيع؟
متى تأمرين؟ متى تأذنين؟ متى تَقْبلين دعاء الشفيع؟

* * *

متي يرجع الغائب المرتجى إلى صدر أمٍ براها السقام؟
متي يهبط النوم تحت الدجى لعينيك يا ساهراً لا ينام؟

* * *

متى يطلع النجم للتائهين؟ وقد غرقوا.في ليالي الخطوب
متى يجمع الشطُّ تلك السفين؟ وقد عاث فيها الخضم الغضوب

* * *

متى يأذن الجائعون الظما ء في الماءِ يطفيءُ حَرَّ الصدى
وفي الزاد يبقى ذماء الحيا ة، وفي الخمر يعلو بها مُصعدا

* * *

متى؟ إي وربِّك قل لي متى؟!   وسلهم عن اليـــوم والموعـــد
فــقــد يُقــبل الزائر المرتجى   ولا من مُــلاقٍ له في غـــد؟!

* * *

إليك مثال السؤال العجيب   وأنت بأحلى مـــثـــال تجـــود
عـــشـــيـــةَ تبـــسم عند الودا   ع وتسأل : في أي يوم أعود!

الطير المهاجر

علمتني مواسم الروض أن الطير شتى : مهاجر ومقيم

أتراني لا أسمع الطير إلا في رياضي معششاً لا يريم؟

رب شادٍ في هجرةٍ يتغنى وعليه السلام والتسليم

من جنوب إلى شمال، وحيناً من شمال إلى جنوب يحوم

فله حين يستقل وداع وله حين يقبل التكريم

خذ من الطير كلَّ يوم جديداً فسواء جديده والقديم

كم مُولٍّ وصفوهُ لا يُوَلِّي ومقيمٍ وصفوه لا يقيم

اليوم الموعود

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى شوقي إليك، وما أُشاقُ لمغنم؟
شوقي إليك يكاد يجذب لي غداً من وكره، ويكاد يطفر من دمي
أسرعْ بأجنحة السماءِ جميعها إنْ لم يطعك جَناح هذي الأنجم
ودع الشموس تسير في داراتها وتخطَّها قبل الأوان المبرم
ما ضرَّ دهرك إن تقدم واحدٌ يا يومُ من جيش لديه عرمرم
لي جَنَةٌ يا يوم أجمع في يدي ما شئتُ من زهر بها متبسم
وأذوق من ثمراتها ما أشتهي لا تحتمي مني ولا أنا أحتمي
وتطوف من حولي نوافر عُصْمها ليست بمحجمة ولست بمحجم
وتلذُّ لي منها الوهاد لذاذتي بتصعُّدٍ في نجدها وتسنُّم
لم آسَ بين كرومها وظلالها إلا على ثمر هناك محرَّمُ
فكأنما هي جنة في طيِّها ركنٌ تسلل من صميم جهنم

أبداً يذكّرني النعيمُ بقربها حرمانَ مزءودٍ[1] وعُسرةَ معدم

وأبيتُ في الفردوس أنْعم بالمنى وكأنني من حسرةٍ لم أنْعَم

* * *

يا يوم موعدها ستُبْلِغُني المنى وتُتمُّ لي الفردوس خيرَ مُتَمَّم

لا غصن رابية تقصِّر راحتي عنه، ولا ثمر يعز على فمي

سأظل أخطر كالغريب بجنتي حتى أثوب على قدومك، فاقْدُم

فأبيتُ ثَم إذا احتواني أفقها لم أنْهَ عن أمل ولم أتندم

فرحي بصبحك حين تشرق شمسه فرح الضياء سرى لطرفٍ مظلم

* * *

أمعيرتي خلد السماء سماحةً صونيه عن وَلهٍ صيانةَ مكرم

رفقاً بخلدك أن تشوبي صفوه إنْ لم تريْ رفقاً بمهجة مغرم

(١) المزءود : الشديد الفزع.

يومَ الظنون

يومَ الظنون صدعتُ فيكَ تجلُّدي ... وحملت فيك الضيم مغلولَ اليد[١]
وبكيتُ كالطفل الذليل أنا الذي ... ما لان في صعب الحوادث مِقوَدي[٢]
وغصصت بالماء الذي أعددته ... للري في قفز الحياة المجهدِ
لاقيت أهوال الشداء كلها ... حتى طغت فلقيت ما لم أعهد
نارَ الجحيم إليّ غيرَ ذميمة[٣] ... وخذي إليك مصارعي في مرقدي
حيرانَ أنظر في السماءِ وفي الثرى ... وأذوق طعم الموت غيرَ مصرَّد[٤]
أروَى وأظمأ عذبُ ما أنا شاربٌ ... في حالتيَّ نقيعُ سم الأسوَدِ[٥]
وأُجيل في الليل البهيم خواطري ... لا شارقٌ فيه ولا منْ مُسعدِ[٦]
وتعيد لي الذكرات سالف صبوتي ... شوهاء كاشرة كما لم أشهد

(١) مغلول اليد : مقيد اليد.
(٢) المقود : الزمام.
(٣) نار الجحيم إليّ : تعاليْ إليّ وأسرعي.
(٤) المصرَّد : الشراب الذى لا يعقبه ارتواء.
(٥) سم الأسوَدِ : سم الثعبان.
(٦) البهيم : المظلم.

مُسختْ شمائلها التي سعدت بها وبدت بوسْم في السعير مخلَّد

يا صبوة الأمس التي سعدت بها روحي، وليت شقيُّها لم يسعد

وعرفتُ منها وجهَ أصبحَ ناضرٍ ورشفت منها ثغر ألعَس[1] أغيد

سُومحت بل جوزيت كيف وعيت لي

بالأمس فيك ضراوة الذئب الصدي[2]

سُومحت بل جوزيت كيف طويت لي

زرق الأسنَّة في الإهاب الأملد[3]

أمسيت حربي في الظلام وطالما جلّيت لي وجه الظلام المربد

ورجعت أهربُ من لقاك وطالما ألفيتُ عندك في الشدائد مقصدي

ما كان من شيء يزيد تنعُّمي إلا يزيدُ اليومَ فيكِ تلددي[4]

أواه من أمسي ومن يومي معاً والويل من طول التردد في غدِ

(١) الألعس : الأسمر الشفة : وهى سمرة مستحبة. (٣) الأملد: الناعم والطرى.
(٢) الصدي : المتعطش إلي الدماء. (٤) تلدّي: عذابي وشقائي ومعاناتى.

أهبُ الخلودَ كـرامـةَ لمبـشـري	أن ليس يومي في العذاب بسرمد[1]

وأبيع حظي في الحيـاة بسـاعـة	أنسى بهـا عـمـري كـأن لم أولدِ

وأسوم مرعى العيش غير مزوّد	وأرودُ روْضَ الحسن غـيرَ مقـيّد[2]

(١) السرمد : الخالد والمستمر إلى الأبد.
(٢) أسوم مرعى العيش : أمارس الحياة وأعيش أحداث الزمان.

غيرة طفلة

مـــا كـــان أملح طفلة ... من غـيـر شيء تخـجلُ
ضـاحكتـهـا فـتـمـايلت ... وشــعــورها تـتــهــدلُ
ورجــوت منهــا قــبلةً ... فــأبت كــمـن يتــدلل
وتعــبت وهي تـصـدُّني ... حــيناً وحــيناً تقــبل
فــرفــعتُ مــرآة لهــا ... فـــتطلعت تتـــأمل
قلت انظري في وجهـها ... أفــأنت أم هي أجــمل
قـالت وفـيـهـا غـضبـة ... أنا بالملاحـــة أمـــثل
ومـضت تقـول إلى متى ... تنسى الجـمـيل وتجـهل
وأقـــول ايكمــــا إذن ... أدعــو بهــا فــأقــبّل؟؟
عطفت عليَّ وكل محبو ... ب يغــار فــيــسـهـل

تبكين

تبكين! والهفَ الفؤاد يذيبه ... ذاك الحنين يذوب في خديك
أيراك باكية وأنت ضياؤه ... ونعيم عيشي كله بيديك؟
وعزيزةٌ تلك الدموع فليتها ... يقنو قُطيرتها نظيم سُلَيك
لملأت ثَمّ يدي بأكرم جوهر ... من عطف قلبك فاض من عينيك

* * *

لو أستطيع جمعت كل ذخيرة ... في الدهر من ضحك يروق لديك
ونغمت أطربَ شدوه وجعلته ... بين الكؤيس العذب من شفتيك

فيضج مزدهياً بفيك وتنتشي ... فرحاً قلوبُ الناظرين إليك
ما أحسن الحسن المهذب ضاحكاً ... وأحب جلباب السرور عليك

* * *

والله ما ضنَّ السرور وما ونى ... يَشتاق هزته على عطفيك
لو شئت كل مسرة مبذولة ... لجثت مسرات على قدميك

إلى ربة الحب
الزُهَرَةَ

فريدةَ الأفق أسعديني   وخالسي النجم وارمقيني
وسلسلي النور صوبَ عيني   وعن شمالي وعن يميني
أشعةً ينبثقن شتى   كأنها عذْق ياسمين[1]
أراك تغوينني بوحيٍ   إلى السموات يزدهيني
إغواءَ ذات الدلال صينت   في ذروة المعقل الحصين[2]
فهل سبيلٌ إليك يُبغى   وأنت أعلى من الظنون؟

***

فيك ضلال وفيك رشد   فضلليني وأرشديني
بين وجوه تضل من لا   يضل في ضوئها المبين
كوني مناراً فالحب بحرٌ   قلوبنا فيه كالسفين

لما تجليتِ لي استضاءت   خواطري وانجلت شجوني
يا طالما تخدع الدراري   لواحظ الشاعر الحزين

---

(١) العذق : الفرع والغصن من الشجرة   (٢) المعقل الحصين : القلعة المنيعة.

طلعة الحلم

يا طلعة الحلم متى ألقاكِ؟ ... فداك كل طلعة فداكِ
ما النور من شمس ولا أفلاك ... جلاؤك لي، كلاّ، ولا حلاؤكِ
أنت ارتفعت بي إلي علاك ... وهبتني نوراً به أراكِ
لو لم أكن أصغي إلى خُطاك ... قلتُ خيالٌ من قوامٍ زاك[1]
في لجة النور بدا يُحاكي ... صورتَه في عالم الأملاك[2]
في معزل عن ضاحك وباكِ ... فوق غرام النفس مشتهاكِ
إذا المنى حامت على ذُراك ... فإنما تصبو إلى معناك[3]
وبالتسابيح تمنيناك ... وكل حسن يُشتهَى سواكِ
تعالياً عن تلكم الشباكِ
حاشاك من دنيا الهوى حاشاكِ

---

(١) زاك : جميل ومتألق.
(٢) ذراك : قممك العالية.
(٣) اللجّة : الموجة العاتية، ولجة النور : النور الغامر.

خواطر وهواجس

يوم ميلادي

يومَ ميلادى تقدمْ وتأخَّرْ ... وتكلَّم
لا تقل لي قبل عام كيف كنا، أنا أعلمْ
لا تقل لي بعد عمري كيف نُمسي، لستَ تعلم
غاية الأمر أظانـ ـينُ، وبعض الظن يأثم[1]
سوف نمسي مثل ماكنـ ـا، ولم نولد ونُفطَم
إن يكن ذلك شيئاً لستُ بعد الموت أُعدَم
أو يكن ليس بشيء أتَرى «لا شيء» يندم؟!
أيّةُ الحالين قل لي بعد طول العمر أسلم؟!
تظلم الموت إذا قلـ ـت ظلومٌ ليس يرحم[2]
نحن لا بالموت أُعْطِينا ولا بالموت نُحرم
من يَعُدْ يوماً كما كا ن فقد تمَّ وتَمَّم
صفقة الأعمار فيها قلة الخسران مغنم

(١) أظانين : جمع ظن. (٢) ظلوم : كثير الظلم.

إلى الشفاه لا إلى الآذان

فـــيم أروي لكِ شـــعـــري؟ أنـــــا أدرِي، أنـــــا أدري

* * *

أنا أدري يا فـــتـــاتي حـــيث ألقي بالأغـــاني
إن شـــعـــري ســمـــعـــتـــهُ شـــفـــتـــانِ .. شـــفـــتـــان !
ها هنا ســـرب إلي القلـ ـب الذي أعـنيـــه دان

* * *

رفَّ شـــعـــري حـــيث رفَّت بالأمـــاني قـــبـــلاتي
وتصـــفَّـــحـت صـــداه قـــبـــســـاً في الوجنات
هو من ثـغـــر فـــتـــاتي وإلى ثـغـــر فـــتـــاتي

* * *

فـــيم تســـعـى رحلتي بيـ ـن المعـــانـي وتـطـولُ
ها هنا الشـعـــر ومـوحي الـ ـشـــعـــر يصـــغي ويقـــولُ
كل إصـــغـــاء لعـــمـــري. بين هـذين فـــضـــولُ

نفثة

غربّوا قلبي وهم وطن ... ومضوا عني وما ظعنوا[1]
واستقلوا حيث لا رُسل ... تبلغ المسعى ولا سُنن[2]
هجروا والهجر مبعدة ... ليتها تجتابها السفن
أين منا دار وصلتهم؟ ... قربت لو أنها مدن!
دارهم لا قُوضت أبداً ... غُرة في ظلها سكنوا
غِرةٌ في الحسن تبعدنا ... وبها في الحسن نفتتن
أين لا أين القرار بنا ... آذنوا بالبين أم قطنوا[3]
دارهم من حيثما نزلوا ... قنة تعنو لها القنن[4]
أي فردوس علمت به ... لم يحطه الموت والإحن[5]
هذه الجنات نبصرها ... هل لنا في بعضها وطن؟

***

(١) ظعنوا : رحلوا وسافروا.
(٢) سُنن : علامات وسُبل.
(٣) البين : الفراق . قطنوا : أقاموا.
(٤) القنة : أعلى الشيء وقمته.
(٥) الإحن : جمع إحنة : البلاء الشديد.

مـــا لكم يا روضَ أنفــــسِنا لا يقــينا شـمــسَكم غــصن؟
لو عـلمــــتم مـــا نكـابده لانَ منـكم جــــانب خـــشن
رحـــمـــةً يا من نهـــيم به وهـو يـقـــــلانـا ويضطـغـن
هل علمتَ الجـمـر مـفتـرَشـاً والصـلالَ السـود تُحتـضن[1]
ذاك أو حـــمى تَضَـمّنهـــا جـسدٌ واهي القـوى ضمِن[2]
تتلقـــاه بصْـــرعـــتـهـــا فـــيـــحـــار الموت والوهن
بعض مـــا نلقـــاه من شـــجن بك والنـوام قـــــد سـكنوا
عـندمـــــا يخلو الظلام بنا حـــــــيث لا عـين ولا أذنُ

* * *

زمـنى جــــوزيت يا زمـني أي بـأس فـــــيك لا يهـن[3]
مــــا الذي أبقـــاه لي زمني غـــال صـــفـوي كله الزمن[4]
ليس لي في مـــبـصَـــر أمل كل شيء فـــيـــه لي شـــجن
لا أرى في القـــبح من حـسن فلمـــــاذا يقـــبح الحـــسن

---

(١) الصلال : الحيّات.
(٢) ضمن : مريض وعليل.
(٣) لا يهن : لا يضعف.
(٤) غال : بدد وقضى على.

شـاهت الأوصـاف في نظري سـرها المخـبـوء والعلن[1]
مـا الأمـاني؟ إنهـا خـدع مـا الغـواني؟ إنهـا دِمَن[2]
مـا الصداقـات التي زعـموا؟ إنهـا البـغـضـاء تؤتمن[3]
مـا العـلا؟ مـا المجد؟ في أمم مـجـدها بل ربهـا وثـن[4]؟
مـا السـجـايا الغـر وا أسـفـا إنـهـا حـلـم ولا وسـن[5]
بل سل الأقـدار إن نطقت مـا حـيـاة شـأوها بدن
نشـتـري أنفـاسـهـا قطعـاً وهي نعـطيـهـا ولا ثمن
أقـصـارى الطرف من نظر رؤية بالويل تقـتـرن؟[6]
والعـمـى رزء وإن وضـحت في ضـيـاء المبـصـر المحن
ضل عـقل لا ترفّـهـه نـشـوة تـطفـو بما يـزن
إنما يشـقى الفـؤاد ومـا شـقـيت إلا به الفطن[7]

(١) شاهت : قبحت.
(٢) الدمن : جمع دمنة ، الأثر المتخلف من الديار.
(٣) البغضاء : شدة الكراهية.
(٤) وثن : صنم.
(٥) السجايا الغرّ : الأخلاق والطباع الكريمة.
(٦) القصارى : الغاية والمنتهي. الطرف ، البصر.
(٧) الفطن : العقول.

عهد بين عامين

أحـــبّكِ في الســنة الآتيـــة كـحـبـيك فـي السنة الماضـيـة
ويكبـــر شـــوقي بطول المدى كـمـا تكبـر الدوحـة النامـيـة
«سـعـاد» ويا حـسن هذا النـد اء إذا مـا وجدتك لي صـاغـيـة
نســيتُ التــواريخ إلا التي تعـــود بذكـــرك لي راوية
فـــأنت الزمـــان وأنت المكا ن وأنت غنى النفس يا غـانية
ولست أعــدُّ حـســاب السنـ ـين بالشـمس طالعـة خافـيـة
ولكن بوجـهك لي مـقـبـلاً ونظرتك الحلوة الســاجـيــة
فـيــوم الرضى عــالم حـافل من الحب والذكـرة البـاقـيـة
ويوم النوى عـــالم مظلم تَضل الشـــمــوس به هاوية

* * *

دعي الناس يحيـون أيامـهم ويَلْهــونَ بالضــجــة الخــاوية
فـعـيـدي بقـربك لا ينقـضي وأعــيــادهم كلهــا فــانيــة
إذا انتظروا العـــام لم أنتظر سوى لمحـة منك لي كـافـيـة
فـهـاتي سروك لي صـافـيـاً وجـودى بأعـيـادك الغـاليـة
ودمت لعـــبـــاسك المرتضى ومتّعت بالحسن والعـافيـة[1]

(١) عباسك المرتضى : يقصد الشاعر نفسه.

صوت من السماء

لمـــا رأتـــنـــيَ أهـــلاً   لأن تراني مــحــبـــا[1]

وأرســلــت لــيَ نـــوراً   من قلبـهـا الرحب رحـبا

رُدت إليَّ حــــيـــاتي   روحـاً وجــسـمـاً وقلبـا

وأخصَب الشـعـرُ عندي   وكـــان بالأمس جـــدْبا

لا بل علمتُ يقـــيـناً   علمـاً مع الروح شــبـا

بـأن للـحـب صــــوتـا   من الســمـــاء يُلبّى

وأن للعـــيش مـــعنى   وأنّ لــلــكـــون ربّـــا

(١) أهلا : مستحقا وجديرا.

الحان والمسجد[1]

تريدين أن أرضى بك اليومَ للهوى وأرتاد فيك اللهو بعد التعبيد
وألقاك جسما مستباحاً وطالما لقنيتك جمَّ الخوف جمَّ التردد

رويدك إني لا أراك مليئة بلذة جثمان ولا طيب مشهد
جمالك سم في الضلوع وعشرة ترد مهاد الصفو غير ممهد[2]
إذا لم يكن بد من الحان والطلى ففي غير بيت كان بالأمس مسجدي[3]

(١) الحان : مكان شرب الخمر.
(٢) مهاد الصفو : السرور المهيأ والمتعة الجاهزة.
(٣) الطلى : الخمر.

كلماتي

كلمـــاتي ! كلمـــاتي ! صـدق الوعـد فـهـاتي
هل مـعـيني وحيك الصا دق أو وحي اللغـــات؟
أنا أستـأديك[1] مـا لم تـبلغـيـه بأداة
من مـعـان تتـعـالى عن لســان ولهـاة[2]
فـاسألي الأرباب عن تلـ ـك المعـانى الخـالدات
أوسلي الصمت فكم صمـ ـتٍ لـه علـم ثـقـات
ينتـهي شـأو الأحـاد يـث إليـه والـرواة
ويـه لاذ هـداةٌ عـرفـوا وحي النجـاة

＊＊＊

انـظري يا كـلـمـاتي وأُصـيـخي في أناة
مـا ضـيـاءٌ ثَم في الأفـ ق، وفي كل الجـهـات

(١) استأداه الشيء : طلب منه أداءه.
(٢) اللهاة : لحمة مشرفة على الحلق.

لا مـــن الارض ولا مـــن		دارة الأفـــــــــلاك آت

لا تراه غـــيـــر عـــيني		وهـو مـلء الـكـائـنـات

هل يرى الدنيـا امـرؤٌ لم		يـــر منـه قـبـسـات؟

كـلمـــاتي أنـت فـي وا		د من التـيـه شـتـات[1]

اســـألـي الأربـاب عـنـه		أو سلـي الصـمت وهـاتي

* * *

كلمــاتي مـا تقـول		ـين إذن يا كـلمـــاتي

مــا نعــيمٌ يمنح الـكـ		ـف غــذاء المهــجـات

تقـصـر الألبـاب عنه		وهو بعض اللمــسـات

في يدي أدعـوه خـصـراً		تـــارةً أو زهـــرات

في فـمي أدعـوه ثغـراً		تارة أو قـــبــلات

وفـؤادي؟ مـا اسم مـا فـيـ		ـه إذن يـا كـلمـــاتي

اســـألـي الأربـاب عـنـه		أو سلي الصـمت وهـاتي

* * *

(١) الشتا : المتفرق.

نشـــوات تلك ؟ لا بل تلك فـــوق النشـــوات

يـقـظـات تـلـك؟ لا بـلى تلك غـيـــر اليــقظات

بلغت منهـــا مـــداها وارتقت مــرتفــعـــات

تسلس اليـــقظة للوصـ ـف وتصـــغي وتؤاتي

فـــإذا جـــازت مـــداها لزمت صـمت السـبـات

كلمـــاتي ! مـــا تقـــولـ ـين إذن يا كـلمــــاتي

اســـألي الأرباب عنهـــا أو سلي الصـمت وهاتي

* * *

لحـظـة تمـنـح قــلـبـي كل هاتيك الهـبــات؟

لحظة ترفع عـــمــري حـقـبـاً مـتـصـلات؟

ربَّ عـــمـــر طال بالرفـ ـعـــة لا بـالسنوات

لحـظـة ؟ لا بـل خـلـود لاح بـين الـلـحـظـات

كـالسـمــاوات تراهـــا من شـبـــاك الحلقـات

ربَّ آبـــاد تجـلّـــت من كـوى[1] مـخـتلفـات

(١) جمع كوة وهي فتحة في الحائط.

وقُطيـــرات زمـــان		مـــلأت كـــأس حـــيـــاة
وإذا مـــا طغت الكأ		س فـــقل في السكرات!
سكرة تُغـــشي وأخـــرى		تغـــتلي بالصـــحـــوات[1]
هكذا بتنا رفـــيـــقـ		ـين لزيَّيْ لشـــمـــات
غـــائبٌ غـــافٍ، وصـــاح		لخـــفـــيف الهـــمـــسات
كلمـــاتي. مـــا تقـــوليـ		ـن إذن يا كـلمـــاتي
اســـألي الأرباب عنا		أو سلي الصـــمت وهاتي

* * *

أيـن أمـــلاكُ عـلى		أبراجـــهـــا المطلعـــات
تصـــقل الآفـــاق في الليـ		ـل وتجلو النيّـــرات[2]
لا أرى الدنيـــا على نو		ر الليـــالي الغـــابرات
أيـن؟ لا بـل نـدع الـدنيـ		ـا وراء الحـــجـــرات
نورنا الليلة مـــصـــبا		حٌ وليـــدُ اللمـــحـــات
غض جـــفنيـــه حـــيـــاءً		من غـــضـــيض النظرات

(١) تغتلي : تزيد وتشتدّ		(٢) النيرات : الكواكب والنجوم المضيئة

شــفــقــيــاً أو فــقـل إن شـئت فـجـريّ السِّـمـات

عــسـجـداً بـارك حــسنـاً عـسـجـديَّ البـركـات[1]

سـبـحتْ عـيني ونفـسي ويدي في غـمـرات[2]

في كنوز منهـمـا أيٍّ كنـوز مـغـنيـات

ثـروة أُنفـق منـهـا لحـيـاتي ومماتي

ولبـعـثي يوم أن تُبـعـث في الطرس وَصـاتي

كلمـاتي ! مـا أراك اليـوم إلا خـاذلاتـي

عـنـك أغـنتـنـي كـنـوزي وكنوزي ملهـمـاتي

* * *

سـمـعـتني كلمـاتي واسـتـعـادت دعـواتي

ثـم قـالت في حـيـاءٍ كـالعـذارى الخـفـرات

باح لي الصـمت ولكن فـاتـني أيٌّ فـوات

قـال سـامـوك عـسـيـراً في التـمـني يا بنـاتي

ارجـعي، ثـم أعـيـدي، ثـم عـودي صـاغـيـات

(١) العسجد : الذهب. (٢) الغمرات : جمع غمرة وهي الشدة والحادثة الشديدة.

مــــرة أو عـــــشــــرات وإذا اسطعت مـــئـــات
مـــــا بدرسٍ واحـــــد تُو فين هاتيك الصـــفـــات
هكذا يا شـــاعـــري ألـ ـهـمني الصـمت فـهـات
هاتهـــا وافـــرح بإحـــســ ـاني وراقب حـــسـناتي
لا يبـــوح الصـــمت إلا درجـــــاتٍ درجـــاتِ

* * *

كلمـاتي ! صـدق الصمـ ـت، أجل يا كـلمـــاتي
غـيـر أني لا أعـيـد الأ مسَ إلا بـصــــــلاة
مـرجع الأمـر لمن ضـمـ ـت رجـــائي وشـكـاتي
يملك العـودة من أحـيـا مـــن الأرض المــوات
فـابعثي الصمت إليـهـا في خـــشـــوع وتَقـــاةِ
ربمـا أعـــطـتْ وإن لـــم تـســألي يا كـلمــاتي

خواطر في شؤون الناس

القدر يشكو

صـغـيـر يطلب الكَبـرا وشـيخ ودَّ لـو صَـغُـرا
وخـالٍ يشـتـهي عـمـلا وذو عـمـل بـه ضـجـرا
ورب المـال فـي تـعـب، وفي تعب من افـتـقـرا
ويشـقى المرء منهـزمـا ولا يرتاح منتـصـرا
ولا يـرضى بـلا عَـقِـب فـإن يُعـقبْ، فـلا وزرا[1]
ويبـغي المجـد فـي لهف فـإن يظفـر به فـتـرا[2]
ويخـمـد إن سـلا، فـإذا تـولّـه قلبـه زفـرا[3]
فـهـل حـاروا مع الأقـدا ر أوهم حـيـروا القـدرا!
شكـاةٌ مـا لهـا حَكَـم سـوى الخـصـمين. إن حضـرا

(١) الوزر : المعونة والتأييد.
(٢) فـترا : سكن وهمد وانطفأ.
(٣) تولّه : اشتعل بالعاطفة.

كواء الثياب
ليلة الأحد

لا تَـنَـمْ، لا تـنـم		إنَّهم ســاهـرون
سـهـروا في الظلم		أو غَـفَـوْا يحلمون[1]
أنت فـيـهم حكم		وَهُـمُ يـنـظـرون
في غـدٍ يلبسـون!		في غـدٍ يمرحـون

* * *

كم إهاب صـقـيل		يـا لـه من إهـاب[2]
وقـوام نبـيل		في انتظار الثـيـاب
وحـبـيب جـمـيل		يزدهي بالشـبـاب
كلهم يَحْلُمُـون !		في غـد يلبسـون

* * *

أسْلَمـوك الحُلل		كـالربيع الجـديد[3]
في احـمـرار الخـجل		أو صـفـاء النهـود
تُشـتـهى بالقـبل		لا بِمَسِّ الحـديد[4]

(1) غفَوا : ناموا.
(2) الإهاب : الجلد والبشرة.
(3) الحلل : جمع حلة يقصد بها الثوب والرداء.
(4) مسّ الحديد : يقصد حديد المكواة.

يا لهـا من فنّون بهـجـة للعـيـون

* * *

طُويت كـالعـجين فـاطْوِ فيـها الجـمال
لمسـة باليـمين عطفـة بالشـمال
والعـجين الثـمين في اسـتـواء «المثـال»
فـيه مـاسَتْ غـصون مـن جنـاها الجنـون

* * *

زد نصـيب الحبـيب من هوى وابتـسـام
بالكسـاء القـشيب رفّ حـول القَـوام
لك فـيهم نصـيب غـيـر كيّ الغـرام
عند بَرْح الشـجون هُمْ هُمُ المكتـوون[1]

* * *

الضـرام اتقـد في المكاوي الشـداد
هل خـبـا أو برد أو عـلاه الرمـاد؟
ذاك يوم الأحـد أين منك الرقـاد
إن قـضيت الديون كـلُّ نـارٍ تـهـون[2]

(١) بَرح الشجون : لهيب الأشواق ونار المعاناة. المكتوون : الذين يعانون شدة الوجد والهيام.
(٢) يقصد برد الديون : إرجاع ما يكويه من الثياب لأصحابه.

***

أنا مصغٍ إليك في الظلام الطويل
سامع من يديك كلُّ ضربٍ ثقيل[1]
ناظر مَوْقِدَيْك منذ غاب الأصيل
بين غمض الجفون واطِّراد السكون
يا أخا الفن لا تَدَعْها بالثياب
وارْقَ منها إلى ما احتوتْ من شباب
وجمالٍ حلا وحياة عُجاب[2]
وتفلسف على ما احتوت من رقون[3]
تَحْيَ بين الأولى خلفها يختفون
تَلْقَهم يهمسون وهم صامتون
والليالي تهون والكرى والمنون[4]

(١) الضرب الثقيل : يقصد به وقع المكواة وهو يحركها علي الثياب والنار والضرب الثقيل أيضا مصطلح في الموسيقي العربية.
(٢) العجاب : العجيبة، المثيرة للفكر والتأمل.
(٣) الرقون : وسائل الزينة والأصباغ التي يتجمل بها النساء.
(٤) الكرى : النوم. المنون : الموت

القمة الباردة

للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتر عندها الحياة. فإذا نظر الإنسان إلي حقائق الأشياء لم ير شيئاً ولم يشعر بشيء لأن حقيقتها كلها أنها ذرات ترجع إلي حركة متشابهة في كل ذرة. فخير له ألا ينظر إلي الحقائق كل النظر ولا يعرض عن الظواهر كل الإعراض، لأن الحي لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التي تقع عليها الحواس وتدركها البديهة، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلي قمتها الباردة التي لا يشعر فيها بحياة.

إذا ما ارتقيت رفيع الذرى	فإياك والقمةَ الباردة[1]
هنالك لا الشمس دوارة	ولا الأرض ناقصة زائدة
ولا الحادثات وأطوارها	مجددة الخَلْق أو بائدة[2]
قوالب يلتذ تقليبَها	أناسٌ وتبصرها جامدة
ويعجب قوم بترقيشها	وألوانها أبداً واحدة[3]
وتعلو وتهبط جدرانها	وآساس جدرانها قاعدة[4]
ويا بؤس فانٍ يرى ما بدا	من الكون بالنظرة الخالدة
فذلك رب بلا قدرة	وحَيٌّ له جثة هامدة

(١) الذرى : جمع ذروة وهى القمة العالية.
(٢) الترقيش : التزيين والتلوين.
(٣) بائدة : زائلة وهالكة.
(٤) آساس : جمع أسّ وهو قاعدة البناء.

إلى الغـور!! أمـا ثلوج الذرى فـلا خـيـر فـيـهـا ولا فـائدة[1]

* * *

يا ربة الحب كلمـــــــيني إنـي عـلـي طـورك المـكـين

أو فـاهـمـسي لي باللمح سراً هـمـس فـطـين إلـى فـطـين

أدين بالحب فـــهــــو دين لـكـل من دان بالـيـــــقين

وربَّ ليل ســمــا جـبـيـني إلـيك يا قِـبـلة الجـــبين

أذكــر أعـــيـــادك اللواتي أسْـهـرنَ مـا شـئن من جـفـون

من شـادنٍ بالزمـان يلهـو عَلَّمْــتِـهِ لوعـةَ الفـتـون

أو طفلة بالصـبـا لعـوب أورَثْتِـهـا فـرحـة الغـبين

والنسـاس إلا بَنيكِ غـاصـوا فـي لجـــة النوم والسكون

فليس إلا خـــفـــوق قلبٍ يـكـاد يـنـشـق بـالـوتـين[2]

أو زفـــرة من فـــؤاد صب يعـــارض الســـجع بالأنين

أو والـهٌ قـــــائم يـصـلـي إليكَ بالمدمع الهـــتـــون

أو بـث خِـلـين فـي عـنـاق حنًا إلى الوصل بعـــد حين

---

(١) الذرى : القمم.

(٢) الوتين : الشريان الرئيسى الخارج بالدم من القلب لتغذية الجسم.

أو نسمات الصباح تسري من الروابي إلى الحزون[1]
تحمل نفح الرياض شتى من كل زهر على الغصون
تندسُّ بين الثمار فجراً كاللص في هجعة العيون[2]
تكتم أنفاسها وتخشى من لفتة الغصن والطنينِ

* * *

وربَّ ليل سمعت فيهِ من فمك الساحر الامين
مقالة بعضها جنون والبعض شرٌ من الجنون
«إن زمان الشباب ليل فاقضوه في اللهو والمجون
لا تنقصوا ليله بنوم كفاكمُ نومة المنون
تمتعوا بالشباب وامضوا كما مضت غابر القرونِ
سترجع الكأس فاحتسوها إلى مدير بها ضنين
تديرها بعدكم يداه آهٍ من الغادر الخؤون
والشيب صبح، إني لأخشى عليكمُ بغتة الأذينِ[3]
فنادموني من قبل يوم يؤودكم أن تنادموني»[4]

(١) الحزون: جمع حَزن أي الأرض الوعرة الخشنة. (٣) الأذين: الحاجب، والمقصود به هنا: الموت.
(٢) هجعة العيون : نومها ورقادها. (٤) يؤودكم : يشق عليكم ويصعب.

عابر سبيل
بيت يتكلم

كل بيت من البيوت التي تعاقب عليها السكان لو ألقيت عليه طِلَّسْمَ الخيال وأمرته بالكلام فتكلم لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان، ولسمعت عجباً لا تسمع الآذان أعجب منه، وليس الذي يتحدث به «البيت» في القصيدة التالية إلا قليلاً من كثيره :

جـــمـــيع الناس سكاني ... فـــــهل تدرون عنواني؟

ومـــا للناس من ســـر ... عـــدا آذان حـــيطاني

حـــديثي عـــجب فـــيـــه ... خـــفـــايا الإنس والجـــانِ

فكم قـــضّـــيتُ أيامي ... بـــأفـــراح وأحـــزان!

وكـــم آويـــت مـــن بَـــرٍّ ... وكم آويت من جـــان![1]

فـــإن أرضـــاكمُ ســـري ... فـــهـــاكم بعضَ إعـــلاني

***

بني الإنســـان لن أحـــفـ ... ـل في دهري بإنســـان

(١) البر : الصالح والتقيّ. الجانى : الآثم والمذنب.

ألـم أعْـــــرفْكُـمُ طـرا فلم أسـعـد بعـرفـاني؟
أتــانـــي أول الـــســكْـــنِ ومـا اسـتـوفـيت بنيـاني[1]
ومـــــــا أرهـفـت آذانـا ولـم آنـس بـقـطـان[2]
وأصـــغـيت على مــهـل فـطـاشـت كـل آذانـي
همـا زوجـان، أو شـيطا نـة لاذت بـشــيطـان
وقـد عـاشـا وفـيين بتـقـدير وحـسـبـان
وراحــا ـ هـكـذا يـحـكـو ن ـ فـي روح وريـحـان
ومـا أبصـرت مـن هذا ولا مـن تـلـك فـي آن
ســوى خـوانـة خـر قـا ء تفـري عـرض خـوان[3]
إذا مـا ضـحكا يومـا على غـش وبهـتـان
حـسدت البـيـد والأطلا ل في غـيظي وكـتـمـاني
وأشـفـقـت مـن النقـ بـمـة أن تهـتـز أركـاني

(١) السكْن : السكان.
(٢) قطان : جمع قاطن أى ساكن.
(٣) تفرى : تشق وتفتت.

* * *

وجـــاء الســـاكن الشـــاني ... وبئس الســـاكن الثـــاني

يـراه الـنـاس ذا مـــــال ... وأفـــــراس وغـــيـطان

وقـــد شـــوهني بخـــلا ... وأعـــراني وأعـــيــاني

وقـــد صـــيـــرني ســـجنا ... ومنـه كـــان ســـجـــاني

فلمـــا طال بي عـــهـــداً ... ولم أســـعـــد بهـــجـــران

وَدِدْتُ لـــو أنَّ لـــي فـــي ... كلِّ جـــحـــز أَلْفَ ثعـــبـــان

بـديـلا مـنـه أرضـــــاه ... وأحـــبـــوه بغـــفـــراني

وأنفث ســـمَّـــهـــا أو يتـ ... ـقي شـــري ويخـــشـــاني

إلـى أن آده أجـــــــري ... ولم يظفـــر بنقـــصـــان(١)

فـــأخـــلاني، ولـن أنسـ ... ـى ســـروري يوم أخـــلاني

* * *

وكـــان الســـاكن الثـــا ... لث ذا عـــــز وسلطانِ

---

(١) آده : أثقله وأعجزه.

فـمـا ارتبت بأنّ العـ ـز والذلة سـيـان

ومـا ألفـيـتـه إلا لئـيـمـاً جـد غـفـلان

ضـعـيـفـا يسـتـر الضعـ ـف بطغـيـان وعـدوان

وكـم أذعـن لـلـطـاغـي عليـه شـر إذعـان

إذا مـا لـقـي النـا سَ يـكْـبـرٍ منـه طنـان[1]

فـمـا أصـغـر مـا ألقـ ـاه منـه بين جـدرانـي

* * *

وأمـا رابع الـقـوم فـذو علم وتبـيـان

حـشـا بالورق اليـا بس والأخـضـر حـيـشـانـي

فـمـا لي مـوضع في الأ رض أو من فـوق عـمـدان

ومـا لي مطبخ أو مـخـد ع أو بهـو ضـيـفـان[2]

ولا زاويـة إلا وفـيـهـا الكتب تلقـانـي

أبـى لـلـنفـس دعـواها ولم يسـمـع لجـثـمـان

(١) الطنان : الذائع والمبالغ فيه.
(٢) ضيفان : ضيوف.

فــلا ســهــرة أحــبــاب ولا جلســـة ندمـــان

فـــمـــا أجــهله بالخلق ذاك الـعـــالم الـعـــاني!

أبين الناس يحـــتـــا ج إلـــى عـلــم وبــرهـــان؟

وهم عـــمـــيـــان ظلمـــاء ســـروا في إثْرِ عـــمـــيـــان؟

كـــثـــيـــر لك يا إنســـا ن في دنيـــاك عـــينان!!

* * *

وأمـــا الخـــامس الجـــاني فنـاهيـك بشـــهـــوان

فــــمــــا زودني إلا بـــأثـــداء وأعـــكـــان[1]

وهُتَّـــاف بـألحـــانِ وسُـــمَّـــار على الحـــان

إذا أمـــســيت مـــســاني بـــأشـــكـــال وألـــوان

على الأبواب مـــا يرضـ ـيك من حـــسن وإحـــســـان

ومن صـــون لأســـمـــاع ومن غـض لأجـــفـــان[2]

فـــلا تنظرهُمُ ثَمَّـــةَ وانظر بين أحـــضـــاني

(١) أعكان : جمع عكن وهو ما تثنى من لحم البطن بسبب السمنة.
(٢) غمض الأجفان : إغلاق العيون.

فيا لله كم في الأرض من غيٍّ وغُيَّان[1]
وكم في القوم من مخدوع آباء وإخوان
وأزواج وأصهار وخلان وأخدان[2]
لو أني قلت ما أدري لهدوا كل أركاني
فنعم الصمتُ والحكمةُ يا صخري وصواني!

* * *

وكم صاحبت من أصحاب آداب وأديان
تجافوا وصمةَ العاصي وعافوا شهوة الزاني[3]
وباتوا بين قربان وترتيل لقرآن
ولم يَأسَوْا من الدنيا على غبن وحرمان
إذا ما شَرفَتْني زمرةٌ منهم بصحبان
حسبت الأرض تجفوني فأنساها وتنساني
وقالوا الجان لا تقرب من مجلس فرقان

(١) الغي : الضلال. غُيان : جمع غوتى : الضال غير المهتدى. (٣) عافوا : كرهوا وتجنبوا.
(٢) الأخوان جمع خدن : الصديق والرفيق.

فـــقـــد ألفـــيت بعض الإنـ س في العنصَــر كــالجــان[1]
ولـكـن شــــر مـــــا آو يت فـي لؤم وعـــصـــيـــان
رياء الخـــائن العـــادي عـــلـــي أهـــل وأوطـــان
تـلقّـــاهم بتــمـــويه ولاقـــــــوه بــإيمــان
وفي حــجــرة أســراري وفـي ظلمـــة أوْ كـــاني[2]
يبـــيع الحـــوزة الكبــرى بِربْعٍ أو ببـــنــســـتـــان
ويـــعـــطـي الحـق والــذمــ ـة والفـــتــيـــا بأثمـــان
ويمشي بين قـــتـــــلاه رفـــيع الذكــر والشـــان

***

ولم أحـــمــــد من الضـــيـ ـفـــان ضـيـفـــا مـــثـل فنان
تـــولانـــي بـــإبـــداع مـن الـفـن وإتـقــــــان
وغـطى كـل جـــــدراني بمنـضــــور ومـــــزدان
وأوحى الحـــسـن واســـتـــو حـــاه من جنات رضـــوان

(١) ألفيت : وجدت.
(٢) أوكان : جمع وكن : المأوى والعش.

فــحــينا حــسن مكســوٌّ وحــيــنا حــســن عــريان

بـريئــا فـي ســـمـــاء الفـ ــن من عـــيــث وأدران[1]

وفـــتـــانا على الحـــا لين لكن أي فـــتـــان

كـــمـــا تفـــتنك الزهـ ـرة في أعطاف أغـــصـــان

***

جــمــوع لست أحــصــيـهـا ولــو دونـــت ديـــوانـــي

ومـــثـلي كـل جــاراتـي ومـــثلي كل جــيـــراني

عـــرفت الناس أشــتـــاتا بلا عـــد وحـــســبـــان

فـلـم أعـــهـــرف أأعــــداد هُم أم جـــمـــع أقـــران؟

إذا مـــا اخـــتـلـفــوا في ســيــمــة تبـدو وشـغـلان[2]

فـــهـم في الموت أشــبـــاه وفـي ســـقـم وأشـــجـــان

ومـــا منـهـم فـــتـى إلا بـكـى حـــيـنا وأبـكـانـي

مـــســـاكين فـــلا تحـــفـل من الـنـاس بـإنـســـان

(١) العيث : الفساد والتشويه. أدران : قاذورات وشوائب.
(٢) سيمة : شكل وصورة. شغلان : عمل.

ولا تحسد فتى منهم على بأس وإمكان

فأعلاهم وأدناهم أمام الغيب صنوان[1]

***

نزيل المنزل الخالي ألا تعرف عنواني؟

إذا ما طفت حوليه فثق أنك تلقاني

فما من منزل إلا وفيه بعض ألواني

تأمل في نواحيه وراقبه بإمعان

ولا يخدعك صمت فيه أو تفتيح بيبان

ولا تحسبه خلوا من مغاليق وأكنان[2]

إذا ما كنت مستحضر أرواح وحدثان[3]

فقف في المنزل الخالي وأرهف سمع يقظان

وأغمض فيه أجفانك وانظر غير وسنان

(١) صنوان : مثنى صنو أى شبيه. (٣) حدثان الدهر : أحداثه ومصائبه.
(٢) أكنان : جمع كنّ والمقصود به المأوى والكهف والساتر.

تر الأطيـــاف أفـــواجـــا   وتســـمع مـــوج طوفـــان

وتجـــمع كل مـــا يُجـــمع   من ربح وخـــســـــــران

ولا يـــخـــطـــئـــك تـــاريـــخ   ولا دارس أزمـــــــــان[1]

(١) دارس أزمان : الأزمان الماضية والبعيدة العهد.

عسكري المرور

مـــتـــحكمٌ في الراكـــبين ومـــــالـه أبداً ركــــوبة

لـهـم المثــــوبـة من بـنـا نك حين تأمــر والعــقـوبة

مــر مــا بدالك في الطريق ورُضْ على مـهل شعـوبه[1]

أنـا ثـائـر أبـداً ومـــــا في ثورتي أبداً صـعـوبة

أنـا راكب رجلي فــــلا أمــرٌ عليّ ولا ضـريبـة

وكـــذاك راكب رأســـه في هذه الدنيـا العجـيبـة

(١) رُضْ : درِّب ووجِّه، من الترويض والتدريب.

كوكب الشرق[1]

هلّل الشـــرق بالدعـــاءْ　　كوكب الشرق في السماء
عـــاد في حلة الضـــيـــا　　ءِ، وفي هالة البـــهـــاء
لم يَغب هاجـــــراً ولـ　　ـكنْ كما غربَت ذُكاء[2]
لا تخـــافـــوا على مطا　　لعـــه سطوة المســـاء
واهـــبُ الـــنـــور لا يـــدا　　ريه عن نوره غـــشـــاء
كـــوكب الشـــرف في أمـــا　　ن من الليل لا مـــــراء

* * *

يا عـــروس الســـمـــاع لبـــا　　ك من يســـمع الدعـــاء
وشـــفى أنفـــســـاً لعـــينيـ　　ـك تستـــرخص الفـــداء
انـظري في وجـــــوههم　　تعـــرفي نضـــرة الوفـــاء
كـــلـــهـــم ود لـــو يُـــغـــنـــي　　من البـــشـــر والصـــفـــاء
لو بقـــدر الســـرور نشـ　　ـدو غلبناك بالغناء!

* * *

(١) قيلت في استقبال سيدة الغناء العربي أم كلثوم عند عودتها من رحلة علاجية في الخارج.
(٢) ذكاء : الشمس.

أمَّ كلثــوم يا بشــيــر ... أً من اللـه بـالـرجــــاء

أنت من وحــيــه، ولـلـ ... ـه في الفن أنبــيــاء

ذلك الصوت ـ صوتك الـ ... ـعـذب ـ من عـرشـه نداء

فـــيـــه سـرٌ من جنة الـ ... ـخلد لكنه ضــيـــاء

فـيـه مـا يرفع الحـجـا ... ب ومـا يكشف الغطاء

فـــيـــه أنس لمن يشـا ... ء وسلوى لمن يشــاء

فـيـه للمـرتجي سـلا ... م وللمــشــتكي عــزاء

فـيـه حـرز من الهـمـو ... م وعــونٌ على القـضـاء

أي نـــفـــس إذا تــر ... نمت لا تهـزم الشـقـاء؟

إنـه قـــــــــوةٌ إذا ... عـــز من قـــوة نجــاء

إنـــه مـــن غـــنـــى إذا ... حُسب الصوت من غِناء

إنـه ثـروة لمصــــــــر ... ومـــا أجـزل الثـــراء

مـهـرجـانٌ لعـيـدها ... حـيـثـمـا رفـرف اللواء

وعلى الجـرح إن شكت ... بلسم ناجع الشــفـــاء

***

أيهـــا الكوكب الذي أســعـد الأرض باللقـــاء

رددي الطرف في الفـضـا ء، ومـا أرحب الفـضـاء

واســـأليـــه ســؤال من يلحن الطيــر في الهــواء

هل سرى فيـه مثل صـو تك في الحــسن والنقـــاء

في قـــديم الزمـــان أعـ ـنى وفي حـاضـر سـواء

لا أحـــاشي من الرجـــا ل قـبـيــلا ولا النســاء[1]

لا تجـــيــبي. أنا المجـيـ ـب، ولـم أغلُ في الثناء[2]

أنتِ كـالشـمس لا تُعـدّ د في هذه الســـمـــاء

---

(١) لا أحاشي : لا أستثني.

(٢) لم أغْلُ : لم أبالغ.

الكروان

هل يسمعون سوى صدى الكروان   صوتاً يرفرف في الهزيع الثاني
من كل سار في الظلام كأنهُ   بعض الظلام تَضله العينان
يدعو، إذا ما الليل أطبقَ فوقهُ   موجَ الدياجر، دعوةَ الغرقان
ويشبّ في الجو السحيق كأنه   يبغي النجاة إلى حمى كيوان(1)
عاف التجمل فهو في جلبابه   فانٍ يرتل كالأبيل الفاني(2)
ما ضرَّ من غنّى بمثل غِنائه   أنْ ليس يبطش بطشة العقبان
إن المزايا في الحياة كثيرة   الخوف فيها والسُّطاسيان(3)

***

يا محييَ الليل البهيم تهجّداً   والطيرُ آوية إلى الاوكان
يحدو الكواكب وهو أخفى موضعاً   من نابغ في غمرة النسيان

قل يا شبيهَ النابغين إذا دعوا   والجهل يضرب حولهم بجران(4)

---

(1) كيوان : نجم في السماء.   (3) السّطا : البطش والسطوة والجبروت.

(2) عاف : كره وعزف عن. الأبيل : الراهب المتنسك. (4) الجران: باطن العنق من البعير، والمراد استقر وثبت.

كم صيحة لك في الظلام كأنها   دقـات صـدرٍ للدجنّة حـان
هن اللغات ولا لغاتِ سوى التى   رفـعت بهنَّ عـقـيـرة الوجدان
إن لم تقـيـدها الحروف فـإنهـا   كـالوحي ناطقـة بكل لَسـان
أغنى الكلام عن المقاطع واللُّغى   بثُّ الحزين وفرحة الجذلان[1]

* * *

إني لأسـمع منك إذ ناديتني   مـعنىً يقـصـر عنه كل بيـان
لا عيب أنك في لسانك أعجم   إذ كنتَ ناطقَ مـهـجـة وجنان
والجـاهلون بسر مـا رجّـعـتـه   من نغـمـة مـأثورة ومـعـان
لا يسـمـعـون بسر بين جنوبهم   صـمـاً وإن كـانوا ذوي آذان

* * *

يا ساليـاً يشـكو ويصدح وحده   علّم سـمـيـرك راحـة السلوان
جهلٌ لعمرك أن يطوِّع صاحباً   من جاهرته النفس بالعصيان
املك هواك فإن أطقت فَلَمْ فتى   خـان الوداد ـ فلستَ بالخـوّان

(١) اللغى : اللغات. بث الحزين : شكواه وبوحه.

الكروان المجدد

زعموك غير مجدِّد الالحان ظلموك، بل جهلوك، يا كرواني
قد غيرتك ـ وما تغيِّر شاعراً عشرون عاماً ـ في طراز بيان
أسمعتني بالأمس ما لا عهد لي بسماعه في غابر الألحان
ورويت لي بالأمس ما لم تروه من نغمة وفصاحة ومعان

* * *

شكواي منك، وإن شكرتك، أنه سرٌ تصرُّ به على الكتمان
شكري إليك؛ وإن شكوتك، أنه سرٌ تؤخره لخير أوان
كنز يصان فهاتِ من حباته ذخر القلوب وحلية الآذان

* * *

أنا لا أراك! وطالما طرق النُّهى وحيٌ، ولم تظفر به عينان
أنا في جناحك حيث غاب مع الدجى
وإن استقر على الثرى جثماني
أنا في لسانك حيث أطلقه الهوى مرحا، وإن غلب السرور لساني
أنا في ضميرك حيث باح فما أرى سراً يغيّب به ضمير زماني

أنا منك في القلب الصغير، مساجلٌ خفق الرّبيع بذلك الخفقان
أنا منك في العين التي تهب الكرى وتضن بالصَّحَوات والأشجان
طِرْ في الظلام بمهجة لو صافحت حجر الوهاد لهمَّ بالطيران
تغنيك عن ريش الجناح وعزمه فرحات منطلق الهوى نشوان
فرحات دنيا لا يكدر صفوها بالمين غير سرائر الإنسان

* * *

علمتني بالأمس سرك كله : سرٌّ السعادة في الوجود الفاني
سرُّ السعادة نفرة ومحبةٌ فيكم تؤلف نافر الأوزان
الكون أنتم في صميم نظامه وكأنكم فيه الطريد الجاني
أنتم سواءٌ كالصديق وبينكم بعدٌ كما يتباعد الخصمان
لا يحمل الطيار وزر العاني حمل ابن آدم عثرة الإخوان
لا عالمٌ منكم ولا متعلمٌ كلا ! ولا متقدم أو وان
متشابهين على الحياة فكلكم ساري ظلامٍ، هاتف بأغان
متفرقين على المقام ودأبكم عند الرحيل تجمّع القطان
وكأنما نُسختْ لكلٍ نسخة من هذه الأجواء والأوطان
فهو الشريك على نصيب واحدٍ وهو الوحيد فما له من ثان

ذخر الطبيعة منه تُعطَوْن الحجى   لا من سباق بينكم ورهان

***

أنتم بني الطير المسبّح في الدجى   فيكم كهانة صالح الكهان

بعتم كرى الغافي وطِيبَ رقاده   وبه اشتريتم يقظة اليقظان

قل ما اشتهيت القول يا كرواني   في لهو ثرثار وحلم رزان

سأعيش مثلك لي وللدنيا معاً   وأقول مثلك كيف يزدوجان

وأظلُّ تزدحم الحياة بمهجتي   أبداً ويجتنب الزحام مكاني

في عزلة أنا والحبيب تؤمنا   دنيا الجمال، ونحن منفردان

الليل يا كروان

اللـيـلَ يـا كـــــروان		بشـــــراكَ طاب الأوان
بشراك؟ بل أنت بشرى		تهــفــو لهـــا الآذان
سـهـران فـي الليل شـاد		فكلنا ســــهـــران
وان تكن أنت حلمـــاً		فــكــلــنــا وســنــان
وسنان لم يســـهُ قلب		لـه ولا أجـــفـــان
النوم في الصـيف وزرٌ		وفـي الهــوى كــفــران

* * *

اللـيـلَ يـا كـــــروان		مــا أنت والنسيـــان
حـاشـاك مـا أنت سـاهٍ		عنه، ولا كـســـلان
الليـل ذكــرى وأنت المـ		ـذكّــر اليـــقظان
لـكـنمـــا أنت روحٌ		وهــل لــروح مـكــان؟
بينا يقـــال قــريبٌ		كـــأنه الـوجـــدان
إذا بـه فـي صـــداه		كـــأنه كـــيـوان[1]

* * *

(١) كيوان : نجم فى السماء.

إن كان في السمع طيفٌ فــأنت يا كــروان
صــوت ولا جــثــمــان لحن ولا عـــيـــدان
كـــأنـــه هاتف فـي فــضـــائه حــيـــران
أو رجع صــوت قــديم يعــيــده الحــســبــان

* * *

الـلـيـل يـا كــــروان فــأين منك الـبـيــان؟
ليـل الطبـيـعـة صـمتٌ وأنـت فـــيـــه لـســان
وظلمـــةُ الليـل ســرٌّ فــاقــرأه يا تـرجــمــان
مـا في الظلام ظلام الحـ ـيــاة لو يُســتــبــان
إلاَّ صــيــاح اشـتـيــاق تـروضــــه ألحـــان
نصف الحـيـاة اضطرابٌ ونصـــفــهــا أوزان

* * *

الليل والصـيف والحب كـــلـــهــن أوان
وأنـــت مـــنـــهـــن طـــراً على وعـــودٍ تصـــان
خـذ صـمـتـهن وصـغـه شــدواً لـه ســريان

غص في قرار الدياجي فللدجى شطآن
واستقبل النجم علوا إن النجوم حسان
وخذ من الصيف ناراً لا يعتليها دخان
وارقص مع الحب دوراً دارت له الأكوان
في الأرض بيتك ثاوٍ وفي السماء افتنان .
وبين ذلك ملهى للحب، بل ميدان
واللهو في الحب فاعلم كالحرب يا كروان
عليك من ذا ومن ذا يا ابن الليالي أمان
شادي الغرام له من سكر الغرام ضمان
والصبح أول مَرسى يرتاده الرُكبان
ألا تَزاورَ عنه في الرحلة الرّيان؟![1]
وما ارتضاه ولكنّـ ـما الزمان زمان
فاملأ من الليل نفساً عزيزةً لا تُهان
لا هتفةٌ فيه تبقى إلى غدٍ أو أذان
الليل يا كروان! الصبح يا كروان!

(١) تزاور : أعرض وابتعد.

غن يا كروان

قم غـن يـا كـــــروان غـنٍّ ‏ وتمـنَّ في الـدنيـــــا ومنِّي
وأمن دجـــاك وإن عـــرفـ ‏ ـتك في الحـيـــاة قليل أمن
فـــيم المخـافـــة يا ســمـيـ ‏ ـر الليـل أو فـــيم التــجني؟
لا أنت جــزل في الصــحـــا ‏ ف ولست في قـــفص تُغنّي
كـــلاً ولا في خـــافـــقـيـ ‏ ـك الحـــائلين بـريقُ حـــسن
والصـــقـــر نام وأنـت وحـ ‏ ـدك تمدح الـدنيـــــا وتثني
لك كـل مـــــا دون الـكـوا ‏ كب من سـمـاك الليل مبني
فـأمن زمـــانك أو فــخف ‏ فـــالطبع دون الرأي يغني
إنــي إخـــــالك لـو أمنـ ‏ ـت لما هتـــفت لنا بلحن

مـــــا أحـــب الـكروان!

مـــــا أحب الـكروان !

هل ســـمـــعت الكروان؟

***

موعدي يا صاحبي يوم افترقنا ‏ حيث كانت جيرةٌ أو حيث كنا

هاتف يهـــتف بالأســـمـــاع وهنـاً

هو ذاك الـكروان، هـو هذا الـكروان!

* * *

الكراوين كـــثــيـــر أو قليلْ عندنا أو عـندكم بين النخـــيلْ

ثَمّ صـــوتٌ عـــابرٌ كلَّ ســـبــــيلْ

هو صوت الكروان، في سبيل الكروان

* * *

لي صدى منه فلا تنس صداك هو شـــاديك بـلا ريبٍ هناك

فــإذا مــا عـــسـعس الليل دعـــاك

ذاك داعي الكروان، هل أجبت الكروان؟

* * *

مـــفـــردٌ لكنه يـؤْنسنا ســـاهرٌ لـكنه يـنعـْــسـنـا

صـدحت في نفـســه أنفـسنا فتسامعنا سواء، وسمعنا الكروان!

* * *

واحـــدٌ أو مـــائة ترجـــعـــه عـنـدنـا أو عندكم مطلعـــه

* * *

ذاك شيءٌ واحــــد نســـــمـــــعــــه

في أوان وبيـــان، هو صـــوت الكروان

واحــدٌ بين عــصـــور وعــصـــور   نحن نســتـحـيي به تلك الدهور

لم يفـــتـنا غـــابر الدنيـــا الغـــرور

في أوان الكروان، مــا أحب الكروان!

آه من التراب

أين في المحـــفل «ميّ» يا صـــحـــابْ؟[1]
عـــــودتـنـا هـا هـنا فـــــصـل الخطابْ
عــرشُـــهـــا المنبـــر مـــرفـــوع الجناب
مـــســتــجــيبٌ حين يُدْعى مـــســتــجـاب
أين في المحـــفـل «ميّ» يا صـــحـــاب؟

***

ســـائلوا الـنخـــبـــة من رهط النديّ
أيـن مـيّ؟ هـل عـلمـــــــتم أيـن مـيّ؟
الحــــديث الحلو والـلحن الـشـــجيّ
والجـــبين الحـــرّ والـوجـــه الـسـنيّ
أين ولّى كـــوكـــبـــاهُ؟ أين غـــاب؟

***

(١) ميّ زيادة : اسم أدبى مستعار للأديبة الكاتبة ماري بنت إلياس اللبنانية الأصل، عاشت بين عامي ١٨٨٦ ـ ١٩٤١. انتقلت مع والديها إلى مصر بعد أن تلقت تعليمها الأول في فلسطين ولبنان، وأخذت تكتب في جريدة المحروسة ومجلة الزهور وكان لها منتدى أدبى شهير كان يقصده صفوة الأدباء فى عصرها ويعقد بدارها كل ثلاثاء، كما كانت تربطها بالشاعر وبغيره من نجوم الأدب والفكر فى زمانه علاقة وثيقة. لم تتزوج، وفي أخريات حياتها غلبها الحزن والاكتئاب بعد وفاة والديها.
من أشهر مؤلفاتها: باحثة البادية، مد وجزر، سوانح فتاة، الصحائف، كلمات وإشارات، ظلمات وأشعة، ابتسامات ودموع. ولها شعر كتبته بالفرنسية. وهذه القصيدة تصور فجيعة العقاد برحيل ميّ.

أسف الفن على تلك الفنون
حصدتها، وهيْ خضراءُ، السنون
كلٌّ ما ضمته منهن المنون(1)
غصصٌ ما هان منها لا يهون
وجراحات، ويأس، وعذاب

* * *

شَيمٌ غُرٌّ رضيّات عِذابْ(2)
وحجى ينفذ بالرأي الصواب(3)
وذكاءُ ألمعيّ كالشهاب
وجمال قدسي لا يُعاب
كل هذا في التراب. آه من هذا التراب!

* * *

كل هذا خالدٌ في صَفَحاتِ
عطراتٍ في رباها مثمراتِ
إن ذوت في الروض أوراق النباتَ
رفرفت أوراقها مزدهراتَ
وقطفنا من جناها المستطاب(4)

* * *

(١) المنون : الموت
(٢) الشيم : جمع شيمة: الخلق الكريم. غُرّ: جمع غراء، المشرقة والمتألقة، عذاب : عذبة.
(٣) الحجى : العقل.
(٤) الجنى : الثمر.

مـن جنـــاها كـلّ حــسن نشـتـهـيـه
مـتـعـة الألـبـاب والأرواح فـيـه
سـائغ مُـمَـيّـز مِنْ كل شـبـيـه
لـم يـزل يحـسـبـه مَنْ يجـتنيـه
مُـفْـرَدَ المنبت مـعـزول السـحـاب

* * *

الأقـاليم التي تُنْمـيـه شَـتّى[1]
كـل نبت يانـع ينجب نبـتـا
من لغـات طوّفت في الأرض حـتى[2]
لم تدَعْ في الشـرق أو في الغـرب سَمْتـا
وحـواها كلهـا اللبُّ العـجـاب[3]

* * *

يـا لـذاك اللـب من ثـروة خِـصْب
نيِّـرٍ يقـبس من حـس وقَلْب
بين مـرعـىً من ذوي الألبـاب رحب
وغِنىً فـيـه، وجُـودٍ مسـتَـحِب
كـلمـا جـاد ازدهى حُـسناً وطاب

* * *

(١) تنميه : تغذيه وتقويه.
(٢) يشير العقاد إلى إجادة «ميّ» لعدد من اللغات الأجنبية.
(٣) اللب العجاب : العقل المثير للإعجاب والدهشة.

طَلْعُهُ الناضر من شعر ونثرِ[1]
كرحيق النحل في مطلع فجرِ
قابل النورَ على شاطيء نهرِ
فله في العين سحر أيّ سحرِ
وصدى في كل نفس وجواب

* * *

حيِّ «مياً» إن مَنْ شيع ميا
منصفاً حيّا اللسان العربيا
وجزى حواء حقاً سرمديا
وجزى ميّاً جزاء أريحيا
للذي أسدت إلى أم الكتاب[2]

* * *

للذي أسدت إلى الفصحى احتسابا
والذي صاغته طبعاً واكتسابا
والذي خالته في الدنيا سرابا
والذي لاقت مصاباً فمصابا
من خطوب قاسيات وصعاب

* * *

(١) الطلع : الثمر ويقال طلع النخل : ثمره.
(٢) أم الكتاب : هي اللغة العربية.

أتُــــراهــــا بعــــد فـــقـــد الأبــويْـــن
سلمت في الدهر من شـــجـــوٍ وبَيْن[1]
وأسىً يظلمـــهـــا ظلم الحـــسين
ينطوي في الصـــمت عن ســمع وعـيْن
ويذيب القلب كـــالشـــمع المـــذاب

***

أتـــراهــا بعـــد صـــمت وإبــــاءْ
سلمت من حـــســـدٍ أو من غـــبــاءْ
ووداد كلّ مـــا فــيـــه ريـــاءْ
وعـــداءٍ كل مـــا فــيـــه افـــتـــراءْ
وســـكونٍ كل مـــا فــيـــه اضطـــراب

***

رحـــمـــة الله على «ميٍّ» خـــصـــالا
رحـــمـــة الله على «ميٍّ» فـــعـــالا
رحـــمـــة الله على «ميٍّ» جـــمـــالا
رحـــمـــة الله على «ميٍّ» ســـجـــالا[2]
كلمـــا سُـــجل في الطرس كـــتـــاب[3]

***

(١) الشـجو : الحزن الشديد والأسى المهلك. البـين : الغربة والاغتراب والبعاد.
(٢) السجال : الدمع المنهمر والدلو العظيمة والكتاب الذى دون فيه ما يراد حفظه.
(٣) الطرس : الصحيفة وورق الكتابة.

تـلـكُم الـطـلـعـــــــة مـــــــا زلت أراهـــــــا
غـــــــضـــــــةً تـنـشـــــــر ألوان حـــــــلاهـا
بـيـن آراء أضـــــــاءَت فـي ســـــــنـاهـا
وفـــــــروع تـتـــــــهـــــــادى فـي دجـــــــاهـا ا
ثـم شـــــــاب الفـــــــرْع والأصـل، وغـــــــاب

* * *

غـــــــاب والـزهـرة تؤتـي الـثـــــــمـــــــراتْ
ثـمـــــــراتٍ مـن تجـــــــاريـب الـحـــــــيـــــــاةْ
خـــــــيـــــــر مـــــــا يُـؤْتـي حـــــــصـــــــاد السنواتْ
بـعـــــــثـــــــرتـهـن الـريـاح الـعـــــــاصـــــــفـــــــاتْ
ورمـــــــتـــــــهـن تـرابـاً فـي خـــــــراب

* * *

رُدَّ مـــــــا عـنـدك يـا هـذا الـتـــــــراب
كـلَّ لـبٍ عـــــــبـــــــقـــــــري أو شـــــــبـــــــاب
فـي طـوايـاك اغـــــــتـــــــصـــــــاب وانـتـــــــهـــــــاب
خُـلـقـــــــا لـلـشـــــــمـس أو شُمِّ الـقـــــــبـــــــاب[1]
خُلِقـــــــا لا لا نـــــــزواء واحـــــــتـــــــجـــــــاب

* * *

(١) شم القباب : القمم العالية. شمّ : جمع شماء. والقباب : جمع القبة.

وَيْكَ ! مــــا أنت بـرادٌّ مـــــا لـديـك

أضــــيعُ الآمــــال مـــا ضـــاع عليـك

مــجــدُ «ميٍّ» غــيــر مــوكـــول إليك[1]

مــجــد «ميٍّ» خــالص من قـــبــضـْـتـيـك

ولـهـــــا من فـــضـلهـــــا ألف ثواب!

* * *

(١) موكول إليك : مسئوليته تقع عليك.

بيچو[1]

حـزناً عـلى بيــچــو تفــيض الدمــوع
حــزنـاً عـلى بيـــچـــو تثــــور الضلوع
حــزناً عليـــه جــهــدَ مــا أســتطيع
وإن حـــــزنـاً بـعـــــد ذاك الـولَـوع
والله ـ يا بيـــچـــو ـ لحـــزن وجـــيع

* * *

حــــزناً عليــــه كـلمــــا لاح لـي
بـالـلـيـل فـي نـاحـــــيــــــة المـنزل
مـســامــري حــيناً ومــســـتــقــبلي
وســـابـقـي حـــيـنـاً إلى مـــدخلي
كــــأنه يـعـلـم وَقـت الـرجـــــوع

* * *

وكلمـــا داريت إحـــدى التـــحف
أخــشى عليـــهـــا من يديه التلف
ثـم تـنـبــــــهـت وبـي مـن أسـف

---

(١) بيچو : هو كلب العقاد.

ألاّ يصيب اليوم منها الهدف ....
ذلك خير من فؤاد صديع

***

حزني عليه كلما عزني
صدق ذوي الألباب والألسن
وكلما فوجئتُ في مأمني
وكلما اطمأننتُ في مسكني
مستغنياً، أو غانياً بالقنوع(١)

***

وكلما ناديته ناسياً :
بيچو ! ولم أبصر به آتيا
مداعباً مبتهجاً صاغيا ...
قد أصبح البيت إذن خاويا
لا من صدى فيه ولا من سميع

***

نسيت؟ لا. بل ليتني قد نسيت
حسبتني ذاكرَهُ ما حييت

(١) غانيا : مستغنيا.

لو جاءني نسيانه ما رضيت
بيچو مُعَزيٌّ إذ ما أسِيتْ[1]
بيچو مُناجِيٌّ الأمين الوديع

* * *

بيچو الذي أسمع قبل الصباح
بيچو الذي أرقب عند الرواح
بيچو الذي يزعجني بالصياح
لو نبحةٌ منه، وأين النباح؟
ضيعت فيها اليوم ما لا يَضيع

* * *

خطوته.. يا بَرْحَها من ألم
يخدش بابي وهو ذاوي القدم
مستنجداً بي، ويح ذاك البَكَمْ!
بنظرة أنطقَ من كل فم
يا طول ما ينظر،! هذا فظيع!

* * *

نَمْ لا أرى النوم لعيني يطيب

(١) أسيتُ : شعرت بالأسى.

أنتم خبيرون بنهش القلوب
يا آل قِطْمِيرَ هواكم عجيب(١)
غاب سنا عينيك عند الغروب
وتنقضي الدنيا... ولا من طلوع

* * *

نم واترك الأفواج يوم الأحد
والبحر طاغٍ والمدى لا يُحَدّ
عيناي في ذاك وهذا الجسد
بوحشة القلب الحزين انفرد
والليل، والنجم، وشعب خليع!

* * *

أبكيك، أبكيك وقلَّ الجزاء
يا واهب الود بمحض السخاء
يكذب من قال طعامٌ وماء
لو صحّ هذا ما مَحَضْتَ الوفاء(٢)
لغائبٍ عنك، وطفل رضيع!

(١) «قطمير» هو اسم كلب أهل الكهف.
(٢) محضت الوفاء: أخلصت الوفاء بدون مقابل.

فهرس المختـــارات

دواويـــن العقـــاد

الـديـــوان	سنة الطبعة الأولى
١ ـ يقظة الصباح	١٩١٦
٢ ـ وهج الظهيرة	١٩١٧
٣ ـ أشباح الأصيل	١٩٢١
٤ ـ ديوان العقاد (يضم الدواوين الثلاثة السابقة + ديوان أشجان الليل)	١٩٢٨
٥ ـ وحي الأربعين	١٩٣٣
٦ ـ هدية الكروان	١٩٣٣
٧ ـ عابر سبيل	١٩٣٧
٨ ـ أعاصير مغرب	١٩٤٢
٩ ـ بعد الأعاصير	١٩٥٠
١٠ ـ ديوان من دواوين (يضم مقتطفات من الدواوين التسعة السابقة بالإضافة إلى قصائد جديدة)	١٩٥٨
١١ ـ ما بعد البعد (الديوان الوحيد الذى صدر بعد رحيل الشاعر، يضم أيضا مقالات كتبت في رثاء العقاد؛ جمعه وأعده للنشر عامر العقاد)	١٩٦٧

دواوين العقاد

- يقظة الصباح
- وهج الظهيرة
- أشباح الأصيل
- ديوان العقاد
- وحي الأربعين
- هدية الكروان
- عابر سبيل
- أعاصير مغرب
- بعد الأعاصير
- ديوان من دواوين
- ما بعد البعد

